إرشـاد الحـيران

إلى معاني متشابه القرآن

تأليف

المفتقر إلى عفو ربه

عبدالله بن حسين بن محمد الديلمي

لطف الله به في الدارين

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1438هـ – 2016

تم الإخراج بمؤسسة البينة الاجتماعية الثقافية، صنعاء، ميدان التحرير

رقم الإيداع بدار الكتاب ()

تقـــديم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله حماة الدين.

وبعد؛ يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

كان مما ابتلى الله به عباده وامتحنهم أن قرن المحكم بالمتشابه في كتابه الكريم، وفي ذلك من الفوائد الجمة ما لا يخفى على عاقل؛ منها: تمحيص وتمييز الثابت على الحق من المتزلزل في دينه والباني لدينه على شفا جرف هار.

ومنها: ما في مشقة النظر من الأجر الكبير والثواب العظيم.

وفي هذا الكتاب قام المؤلف أحسن الله جزاءه بتبيين معاني بعض الآيات المتشابهة التي تعلق بها بعض أولي الزيغ والهوى تاركين المحكم من القرآن، موضحاً معانيها ومفنداً مزاعم المخالفين بحجة قوية وأدلة ظاهرة جلية لا يخالفها بعدُ إلا مكابر للحق.

وما مخالفة طريق الحق إلا ناتج من نواتج هوى النفس الأمارة بالسوء، لأن الكثير يمنعه تعصبه من الانقياد للدليل، ويؤدي به إلى التعنت ومخالفة الحق، ولكن الواجب على جميع ممن عرف الحق أن يتبعه أين ما كان وعند من كان؛ فالحق أحق أن يتبع، نسأل الله أن يهدي قلوبنا وعقولنا إلى الحق، إنه سميع مجيب.

المبحث الأول

أهل البيت سفينة النجاة

الحمد لله، والصلاة والسلام على المصطفى محمد واله النجباء.

وبعد؛

فإن افتراق الأمة الإسلامية إلى مذاهب، وتشعبها إلى فرق وطوائف، وتكفير كل طائفة الأخرى، وتبديع كل واحدة منها الأخرى، وادعاء كل طائفة أنها على الحق دون الأخرى، وادعاء كل طائفة أن مخالفها هالك، وأنه إلى دار العذاب سالك، يُوجِب على كل مسلم النظرَ في صحة مذهبه؛ إذ أن الأمر خطير جداً؛ لأن اختلافهم في علم العقيدة.

والمعلوم أن الإسلام أوجب النظر والتأمل والبحث في صحة ما نعتقده، وعلى هذا نقول مستعينين بالله:

كثيراً ما يتساءل المرء؛ هل يمكن أن يترك النبي أمته هملاً بأن لا يبين لها طريقاً ومسلكاً يسلكونه.. مع أنه أخبرنا بأن أمته ستفترق إلى نيف وسبعين فرقة، فالمسلم يرى الإسلام – كعقيدة – تتنازعه أكثر من طائفة؛ فهناك الاشعرية، وهناك السلفية، والخوارج، وهناك الشيعة كالزيدية والجعفرية والاسماعيلية، وهناك المعتزلة، وغيرها؛ هذا المسلم الحائر الذي يريد أن يعتقد عقيدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. مَنْ يتبع؟

مع أن كل طائفة توجد أعذاراً وأدلة على وفق مذهبها لتقنع الآخرين، ومع ذلك فالأشعري يرى صحة مذهبه، والمعتزلي يرى صحة مذهبه، والسلفي يرى صحة مذهبه، وهكذا؛ وكل واحد منهم يقول بأن عقيدة الطائفة الفلانية فاسدة، لأنها تعتقد بخلاف عقيدته.. فالمسلم العامي ماذا يفعل؟!!

من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بافتراق أمته واختلافها، وأنه رحمة للعالمين والنور الذي به نعلم طريقنا، ولم يمت إلا وقد بين للناس الحق وجعل له عَلماً؛ إذ أن الله وصف نبيه بأنه حريص على المؤمنين، وأنه رءوف رحيم.

أخي القارئ:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - الحريصُ كل الحرص على أمته، والذي هو بأمته رءوف رحيم، والذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها -: "إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به، لن تضلّوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض" وفي لفظ مسلم: "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي".

ولغير مسلم روايات أخرى كثيرة؛ منها:

"أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول من ربي فأجيب فإني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي". وفي رواية أخرى: "إِنِّي تَارِكٌ

فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ كِتَابُ اللهَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ".

"إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض". وفي رواية أخرى: "إني تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ الله، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا ".

"إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللهّ وعِترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يَردَا علي الحوض ".

وعن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع، ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن، ثم قال: "كأني قد دعيت فأجبت إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

وفي رواية: "أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض سألت الله ذلك لهما فأعطانيه".

ورواية: قال رسول الله ﷺ :"إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعِتْرَتي أهل بيتي ".

عن زيد بن ثابت الأنصاري، قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" إني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللهّ وعترتي أهل بيتي وهما الخليفتان من بعدي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض "[1].

فهذا الحديث؛ مع كثرة طرقه وتواتر لفظه ومعناه؛ يوجب على كل مسلم، يؤمن بالله ورسوله، الاقتداء والتأسي والإتباع لآل محمد، إذ أن التمسك بهم: هو اقتفاء أثرهم والاقتداء بهم..

(1) حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة؛ أخرجه الإمام زيد بن علي عليه السلام والإمام علي بن موسى في الصحيفة؛ وقد أوردنا طرفاً من تخريج الحديث: الامام المرشد بالله ومسلم برقم(3408) وابن خزيمة برقم(2357) والحاكم في المستدرك (4555/ 4694/ 4711) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم، وبرقم(6272) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. قال الذهبي: صحيح. والدرامي (3316) البيهقي في السنن والنسائي في السنن الكبرى (8148) و(8175) والترمذي برقم (4157/ 3788) قال الألباني: صحيح. وأحمد برقم (21697/ 21618/ 19332/ 11119) وابن أبي شيبة في المصنف (31679) وذكره في كنز العمال برقم (951) والخطيب في المتفق والمفترق، وأبو يعلى في المسند (1027،1021) والبزار (863)، الطبراني في الكبير برقم (4980 / 4981/ 5025/ 5040) والأوسط برقم (3570/ 367/ 3439/ 3542) والصغير (364/ 376/ 363/ 377) مسند ابن حميد برقم (242) والهيثمي في مجمع الزوائد، وابن الأثير في كتابه جامع الأصول في أحاديث الرسول كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

فيا من يبحث عن الهدى، ويهرب من الضلالة والردى، ها هو الرسول الحريص عليك والرؤوف الرحيم بك، الذي أتعب نفسه من أجلك، يرشدك إلى الهدى والنجاة، ويرشدك إلى الاقتداء بآل محمد حتى تكون من الناجين..

صلوات الله عليك يا رسول الله ما أوضح بيانك، وما أشد حبك ورحمتك للمؤمنين، لم تترك الدنيا حتى بينت للناس الهدى، وأخبرتهم أنهم لن يضلوا إذا ما تمسكوا بالكتاب العزيز وبأهل بيتك الطاهرين.

كنت أتساءل؛ كيف قال رسول الله بأنه تركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها، مع وجود هذا الافتراق والاختلاف والتنابز بالألقاب؟! إذ كل طائفة تؤلف المؤلفات لإثبات مذهبها، وإبطال مذهب الآخرين، وتحذر من الطوائف الأخرى.

كنت أتساءل؛ أين هذا البيان؟! والمسلم يحتار أين الحق بين هذه الطوائف؛ فكلٌ يقيم دليلاً على حد زعمه، والمسلم لا يستطيع أن يفرق؛ لما يجده من أساليب كل طائفة في الإقناع.

كنت أتساءل متحيراً؛ حتى علمت بأن الرسول فعلاً تركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها، أوليس هو القائل:" إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي "!!! أوليس هذا الحديث صحيحاً عند جميع المسلمين باختلاف

مشاربهم!! فالأشعرية تقول: بأنه حديث صحيح، والسلفية تقول: بصحته وترويه، وكذا الزيدية والإمامية والإباضية وغيرهم.

أوليس هو القائل ﷺ: " مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَى، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ وَهَوَى".(1)!!! وهذا حديث صحيح؛ فإذا كان الحديث صحيحاً، وهو يدل على وجوب اتباع أهل البيت، وعلى أنهم كسفينة نوح عليه السلام فمن اتبع طريقتهم نجا، كمن ركب سفينة نوح عليه السلام نجا، ومن اتبع غيرهم غرق، كمن اتبع غير نوح عليه السلام ولم يركب سفينة نوح عليه السلام، فلماذا يحتار المسلم ويهلك نفسه؟!! والرسول يقول لنا:" إني تارك فيكم......" أي مخلف فيكم – مع أنه يعلم ما سيكون من افتراقنا وتشتت أفكارنا –" ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا "مدة تمسكنا بالكتاب والعترة لن نضل أبداً ولن ننحرف ونميل

(1) رواه الإمام علي بن موسى الكاظم في الصحيفة، والإمام الهادي في الأحكام، والإمام المرتضى في كتاب الأصول، والإمام أبو طالب، والإمام المرشد بالله في أماليهما، الحاكم في المستدرك برقم (4703/ 3270)وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير برقم (2636/ 2637 / 2638 / 12388) وفي الأوسط برقم(3612/ 5694/ 6032) وفي الصغير برقم (392 / 826) البزار برقم (3900) ، أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة برقم(1402) وأبو نعيم في حلية الأولياء ، وابن أبي شيبه موقوفاً عن علي عليه السلام والهيثمي في مجمع الزوائد ؛ هذا وقد ذكر رواته الإمام مجد الدين بن منصور المؤيدي في لوامع الأنوار .

عن الحق، " كتاب الله" الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه "وعترتي أهل بيتي" الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أخي المسلم:

هذا الحديث وغيره، مما رواه الموافق والمخالف يوجب عليك البحث عن آل محمد، ثم الاقتداء بهم في كل ما قالوه، فالنبي ﷺ لم يقل: إني تارك فيكم الكتاب وابن تيمية، ولا ابن حزم، ولا الأشعري، ولا واصل بن عطاء، وإنما قال:" كتاب الله وعترتي ".

قد يقول قائل: إن ابن تيمية وابن حزم والأشعري وواصل بن عطاء يقولون: قال رسول الله.. فالمتبع لواحد منهم هو متبع لسنة رسول الله.

والجواب: إن كل طائفة تقول: قال رسول الله.. مع الاختلاف في العقيدة، فالذي يقول بالكسب يقول: قال الله، قال رسول الله، والذي يقول بالجبر المحض يقول: قال الله، قال رسول الله، والذي يقول بالاختيار وعدم خلق الله لأفعال العبد يقول: قال الله، قال رسول الله.. فأين هي سنة رسول الله؟!! هل هي سنة الأشعري أم سنة الإباضي؟!! أم سنة المعتزلي أم السلفي أم الزيدي أم الإمامي أم الإسماعيلي؟!!!

كل المذاهب الإسلامية تتفق على وجوب رواية السنة والعمل بها إذا صحت عن رسول الله ﷺ، ولم تكن منسوخةً، إذ المنكر للعمل بسنة رسول الله ليس

بمسلم، ومن أنكر حديثاً مَّا؛ فهو لأن الحديث: إمَّا لم يصح عنده بأن كان ضعيفاً أو موضوعاً، أو ترجح له العمل بحديث آخر لكونه أقوى رواية، أو لغير ذلك من المرجحات.

أيها القارئ:

إن رسول الله ﷺ يعلم أن كل طائفة سوف تسعى لإثبات صحة مذهبها بأن تنسب قولها إلى رسول الله، وإن كان ما تدعيه غير صحيح، ولذلك قال: "كتاب الله وعترتي" إذ أنَّ الأمن من الضلال لا يكون إلا بالتمسك بهما جميعاً (الكتاب والعترة).

قد يقول قائل: بل الأصح كتاب الله وسنتي، إذ هذه الأدلة الشرعية التي يجب علينا الأخذ منها؛ فهل نترك السنة ونقفوا أثر زيد والهادي والباقر عليهم السلام ؟!!

والجواب: أن النبي ﷺ حينما قال:" إني تارك " لم يرد أن يبين جميع الأدلة الشرعية حتى يقول المرء: أين السنةُ المصدرُ الثاني بعد الكتاب ليس هذا المراد، بل المراد من الذي إذا تمسك المسلمُ به أمن من الضلال .. القضية هي النجاة من الضلال، وليست القضية حصر الأدلة الشرعية.

ثم إذا قلنا: الكتاب والسنة.. فما زلنا في حيرة، فأين هي السنة**!!!** فكل طائفة تقول: بأن أحاديثها هي الصحيحة، ولكل طائفة مذهب وأئمة في الجرح والتعديل، فإذا روى أشعري حديثاً.. قالت الفرقة المخالفة له: إن هذا الحديث

غير صحيح؛ إذ أن الإمام الفلاني قد نص على تضعيفه، ولأن في رواته فلان، وقد قال الإمام الفلاني: إن فلاناً هذا كاذب، ويأتي بالمناكير، وقال الإمام الفلاني: إن هتان بن بيان مجهول، وهكذا، فأين السنة؟!

قلنا: السؤال يجيبه رسول الله: سنتي عند أهل بيتي؛ إذ أنه حينما قال: إني تارك فيكم الكتاب والعترة، يريد أن سنته ودينه وعقيدته عند هؤلاء أعني: الإمام علياً والحسن والحسين والزهراء وذريتها.. وهذا لا يعني عدم صحة رواية غير أهل البيت، بل عدم صحة رواية وكلام المخالف لِمَا رووه واعتقدوه.

فإن قال قائل: أهل البيت في كل فرقة؛ فمنهم الأشعري والحنفي والإباضي والسلفي وغيرهم!!!

قلنا:

* لا يمكن أن يأمرنا النبي بإتباع قومٍ يضلل بعضهم بعضاً، ثم يقول: "إذا تمسكتم بهم أمنتم من الضلال".

* ضياع الحديث بالكلية وبطلان المرادِ منه والمقصودِ.. وهو مرادهم؛ إذ لم يستطيعوا إبطال الحديث متناً وسنداً فتجمعوا لإبطاله دلالةً.

* أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لن تضلوا".

* قبل الاختلاف كانوا على مذهب واحد يقيناً (علي والحسن والحسين وفاطمة) كانوا على عقيدة واحدة، وكذا من بعدهم حتى افترقوا، فكل من كان من أهل البيت على هذا الخط فهم مَنْ أوجب النبي إتباعهم.

* أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لن يفترقا".

* أن يكون تَرْكُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإمته الكتابَ والعترةَ لا فائدة فيه؛ إذ أنه تركهما للأمان من الضلال فكان الواقع أنهم في أنفسهم على ضلال.

* أن مراد رسول الله بأهل بيته: الذين أخذوا علومهم عن آبائهم إلى علي والحسن والحسين، إذ أنهم قبل الاختلاف كانوا على مذهب واحد يقيناً.

* أن الهاشميين المتبعين لمذهب الأشاعرة والمعتزلة والسلفية والإباضية وغيرهم هم متبعون لغيرهم؛ فكيف يأمرنا رسول الله بأن نتبع هاشمياً هو في نفسه متبع لغيره.

* أن السلفي الهاشمي، والوهابي الهاشمي لا ينصون على أنهم على حق؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "كتاب الله وعترتي"، ويقولون: فلان السلفي الهاشمي معنا إذاً نحن على حق، أو فلان الاشعري الهاشمي معنا إذاً نحن على حق.. أي: أنهم لا يدعون أحقية مذهبهم لأنهم ينتمون الى أهل البيت، بل كان ذلك على العكس فتم تجريح الإمام جعفر عليه السلام والإمام إبراهيم بن الحسن بن الحسن

عليه السلام والإمامين محمد وابراهيم ابني عبدالله بن الحسن عليهما السلام، والإمام عبدالله بن الحسن عليه السلام وغيرهم.

* أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا بالإتباع والتمسك بعترته .. والمعلوم أن المذاهب الإسلامية مختلفة في تنزيه الله؛ فالسلفية يثبتون لله الأعضاء والجوارح، ويضللون ويبدعون من ينفي اليد والرِجل والساق والوجه عن الله، والأشعرية تثبت الكلام النفسي صفةً لله ذاتيةً، وتضلل من ينكر هذه الصفة، والخوارج تكفر علياً عليه السلام، وتقول بأن الله عَزَّوَجَلَّ له صفات نفسية، وتضلل من ينكر ذلك ..

فإذا أمرنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإتباع أهل بيته والتمسك بهم، وقال: إننا سوف ننجو من الضلال بإتباعهم .. علمنا أنهم طائفة واحدة ليسوا في كل فرقة، وإلا فيلزم أن أهل البيت يضلل بعضهم بعضاً، وأنهم هم أنفسهم على ضلال؛ وهذا اللازم باطل؛ إذ لا يمكن أن يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإتباع عقائد مختلفة متضاربة تكفر كل واحدة الأخرى، ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لن تضلوا"، ولأنه لا يمكن أن يترك فينا ويأمرنا بإتباع قومٍ يضلل بعضهم بعضاً؛ ولأن الترك لن يكون له فائدة.

وعلى هذا نقول: إن مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعترته أهل بيته: الذين أخذوا علومهم وعقيدتهم عن آبائهم، فآبائِهم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول

الله ﷺ، ثم إن السلفي الهاشمي، والأشعري الهاشمي، والمعتزلي الهاشمي، والخارجي الهاشمي؛ متبع لغيره الذي هو ابن تيمية، وابن حنبل، والأشعري، وواصل بن عطاء، والخوارج وغيرهم.

فكيف يأمرنا رسول الله بأن نتبع بعضاً من أهل بيته مع أنهم تابعون لغيرهم مقتفون لآثار غيرهم؟

كلا؛ بل مراد النبي ﷺ بأهل بيته؛ الذين يجب أن نأخذ ديننا عنهم: مَن أخذ علمه عن آبائه.

ونقول أيضاً: إن المعلوم إن أهل البيت (الخمسة) عليهم السلام كانوا على عقيدة واحدة، وكذا مَن بعدهم حتى افترقوا؛ فمنهم من صار حنبلياً ومنهم من صار معتزلياً، وسلفياً، وخارجياً وغير ذلك.. فكل مَن كان من أهل البيت، وعلى خط الإمام علي عليه السلام، والحسن والحسين عليهما السلام، وأولادهما كزين العابدين، والإمام عبد الله الكامل وأولاده، والحسن بن الحسن بن علي وأولاده .. فهم من أوجب الرسول ﷺ إتباعهم، وكل من خالفهم فلا يجب إتباعه، بل يجب عليه هو نفسه أن يتبع آباءه الأكرمين.

قلنا ذلك: لأن النبي هو الصادق الأمين، ولا يمكن أن يقول: إنهم لن يفترقا – فالكتاب لا يفارق العترة، والعترة لا تفارق الكتاب – مع أنهما سيفترقان، فكما لا يجب علينا بل يحرم إتباع الكافر الفاسق من آل محمد، فكذا لا يجب علينا بل

يحرم اتباع مَن خالف آباءه؛ الذين علومهم كائنة عن آبائهم إلى رسول الله، فكما جاز إخراج الكافر الفاسق منهم فيجوز بل يجب إخراج المخالف لآبائه؛ إذ أن آباءه أجمعوا على عقيدة واحدة في باب التوحيد، والعدل، والنبوة، والوعد، والوعيد، والإمامة، وغيرها.

ونحن قد قدمنا لك أخي المسلم ما يجب عليك أن تتمسك به، أَلَاَ وهو الكتاب والعترة.. خلا أنه يجب عليك أن تعلم أن أهل بيته ليسوا مشَرِّعين، ولا مبتدعين، بل مقتفين لآثار آبائهم، الذين اقتفوا آثار الإمام علي عليه السلام، وولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، الذين اقتفوا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فإن قلت: ما الدليل على أن المرادَ بأهل البيت الإمامُ علي والحسن والحسين والزهراء، وذرية الزهراء فقط؟!!

قلت: حديث الكساء.. الذي أخرجه مسلم في كتابه (صحيح مسلم)، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل البيت.. وهو" عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: قَالَتْ عَائِشَةُ: خَرَجَ النَّبِىُّ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِىٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ

جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ :(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) "[1].

فهذا الحديث يدل على أن أهل بيته.. هم هؤلاء؛ لأنه قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي" فقصر وحصر أهل بيته فيهم بقوله: "هؤلاء"، وقوله: "أهل بيتي" ولم يقل: مِن أهل بيتي، ولأنه ﷺ وضع عليهم كساء وأدخلهم فيه، وقال: " اللهم هؤلاء أهل بيتي" .. والنبي لا يمكن أن يضع هذا الكساء عبثاً منه، وحاشاه، بل فعله – وكلُّ أفعاله مشتملة على حكمةٍ ومقصدٍ عظيم – ليدل على أن المشار إليهم بقوله: "هؤلاء " هم مَن اشتمل عليه الكساء، لا غير، وهو يعني أن مفهومَ وحقيقةَ هذا الاسم: (أهل البيت) أصبح حقيقة شرعية؛ بدليل فعل النبي بوضع الكساء عليهم، وبقوله لأم سلمة: "إنكِ على خير" وباستخدام النبي أسم الإشارة بقوله: "هؤلاء " أي: مَن تحت الكساء، وبقوله: " أهل بيتي " التي تدل على الحصر.

(1) هذا لفظ مسلم (6414) والترمذي (3510/ 4156/ 4245/ 3205/ 3787 / 3871) ، وقال الألباني: صحيح. والحاكم (3517 / 3518) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأحمد (16374/ 25300/ 25383/ 17451/ 27265/ 27356) قال الأرنؤوط: حديث صحيح. والطبراني في الكبير (2663/ 2666/ 2668/ 2669/ 8295/ 159/ 612/ 768)، والأوسط (4219/ 7829/ 7614)، والصغير برقم (375)، أبو يعلى برقم (6866/ 7320) وابن أبي شيبه برقم (32103) هذا وقد ذكر رواته الإمام مجد الدين بن منصور المؤيدي في لوامع الأنوار.

فإذا علمتَ أن مفهوم (أهل البيت) أصبح حقيقة شرعية.. **علمت** أن الاستدلال بأن (الأهلَ) لغةً تطلق، ويراد بها: الزوجةُ، أصبح عبثاً لا حجة فيه، كمن يريدُ إثبات أن الصلاة والزكاة والإيمان في كلام الشارع المرادُ بها: الدعاء والنمو والتصديق مطلقاً، مستدلاً بلغة العرب.

فإن قلتَ: فعلى هذا.. فأهل بيته هم الخمسة أهل الكساء، للحصر والقصر.

قلت: الحصر والقصر.. هو لإخراج مَن يُتوهم دخوله كنسائه، ولهذا قال لأم سلمة حينما أرادت الدخول: "إنك على خير"، وكالحمزة وجعفر وغيرهم من أعمامه وأبناء أعمامه؛ ولأن الحصر لإخراج الموجودين لا المعدومين؛ فأولاد الحسن والحسين داخلون في الآية، وفي الحديث ، وفي حديث الثقلين والسفينة؛ لان العبرة بعموم اللفظ – أعني اللهم هؤلاء أهل بيتي – لا بخصوص السبب – أعني حديث الكساء المُخرِج لمن يُظن دخوله من غير أهل الكساء مِن الموجودين – فأولاد الحسن والحسين مِن عترة الرسول لِمَا تقدم، ولقول الله تعالى: ﴿ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ ﴾[آل عمران/ 61] ،

ولقوله ﷺ :"كُلُّ بَنِي أُنْثَى يَنْتَمُونَ إِلَى أَبِيهِمْ إِلاَّ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَنَا أَبُوهُمَا وَعَصَبَتُهُمَا"(1).

ولأن العلة التي لأجلها ترك فينا رسول الله الكتاب وأهل بيته.. هي خشية الوقوع في الضلال بعد وفاته، فقد قال:" أما بعد.. ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا فيه، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي "(2).

فعبر رسول الله على عِظم ما يترك بأداة التنبيه (ألا)، وحرف النداء للبعيد (أيُّ) و(ها) التنبيه، والبيان بعد الإجمال، وعَقَّب بذكرِ أن الموت يُوشك أن يأتي، ثم ذكر أنه تارك ثقلين عظيمين، أحدهما: كتاب الله، والآخر: أهل بيته، وخشيةُ الضلال موجودةٌ الآن أكثر وأشد من أي وقت قد مَضَى، فكلما بَعُدَ الزمان عن

(1) رواه الإمام الهادي في الأحكام ، وابن حنبل في فضائل الصحابة برقم(1070)، والطبراني في الكبير عن فاطمة الزهراء مرفوعا برقم(1042/ 2632)وعن عمر برقم(2631) وأبو يعلى برقم(6741) والهيثمي في مجمع الزوائد برقم (15014/ 10792/ 7140)، ورواه الخطيب في تاريخه و له شواهد عند الطبراني عن جابر مرفوعا، والحاكم برقم(4770) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) أحمد بن حنبل في مسنده برقم (18464/ 19785/ 19265) البيهقي برقم (13619/ 20832) وابن أبي شيبه برقم (514) والدارمي برقم (3379/ 3316) قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح. ومسلم برقم (2408) باب فضائل الصحابة فضائل علي بن أبي طالب.

رسولِ الله، والإمامِ علي والحسنِ والحسينِ.. كانت أشد، فتركُ النبي الكتاب وأهل بيته لخشية الضلال، وهذه العلة موجودة إلى نهاية التكليف.

إذا تمهد ذلك علمتَ أن أهل البيت لا ينحصرون بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"لا تذهب الدنيا حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي يوافق اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً" (1) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي " (2) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:"لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُواطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا" وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً "(3).

(1) رواه أبو داوود، والترمذي ، وأحمد ، والطبراني، وقال الألباني: صحيح.

(2)صحيح الجامع للألباني برقم (14120/ 8160)والحديث عن جابر، قال الألباني: عن ابن مسعود وأبي هريرة حديث حسن.

(3) صحيح الجامع للألباني برقم(5305) والحديث عن الإمام علي بن أبي طالب، قال الألباني: صحيح.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ :"لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً... قال: ثم يخرج من عترتي أو من أهل بيتي من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً " (1).

فهذه الأحاديث تنص على أن المهدي من أهل بيت النبي ﷺ، ومن عترته، وتدل على أن ذرية الزهراء عليها السلام من أهل البيت.

وكونُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب/ 33] قبلها وبعدها خطاب لنساء النبي .. لا يعني أن المراد بأهل البيت هن مع الخمسة؛ لأن حديث رسول الله – الذي هو سبب النزول – بَيَّنَ المرادَ بهم، وقد قدمنا ما يدل على الحصر والقصر.

أضف إلى ذلك.. أن النبي ﷺ قال في حديث الثقلين: إن الكتاب والعترة لن يفترقا .

وأضف أيضاً.. أن النبي ﷺ مَنَعَ دخول أم سلمة في الكساء، وأخبرها أن عدم دخولها لا يعني أنها غير مرضية عند الله بقوله ﷺ :"إنك على خير"؛ ففي رواية الترمذي قال رسول الله ﷺ :"إنك إلى خير"، قال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.

(1) مسند أحمد بن حنبل المذيل بأحكام شعيب الأرنؤوط، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وفي هذا الباب عن عمر بن أبي سلمة وأنس بن مالك وأبي الحمراء ومعقل بن يسار وعائشة[1].

وفي رواية الحاكم:" إنك إلى خير"، قال البيهقي: قال الحاكم: حديث صحيح بسند رواته ثقات[2]. وفي رواية:" قالت أم سلمة: ألستُ من أهل البيت، فقال: إنك إلى خير أنت من أزواج رسول الله ".

فنفى كونها من أهل البيت الذين هم ثقل الكتاب، ولم ينفِ كونها من أزواجه بل و أخبر أنها إلى خير[3].

ورواية: "أنت إلى خير"، "وأنت على خير"، "وأنت مكانك"، رواها عمر بن سلمة، وأبي سعيد الخدري، وشهر بن حوشب، وأخرج الحديث في المعجم الكبير للطبراني، والترمذي في سننه، ومسند أبي يعلى..

وقال حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح. والحاكم في مستدركه، وأحمد بن حنبل في مسنده، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

---

(1) قال الألباني: صحيح. سنن الترمذي مذيل بأحكام الألباني عليه رقم (3038).

(2) تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج ، الحديث (53).

(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ، ومعرفة الصحاب هلابي نعيم الاصبهاني في ترجمة أم سلمه، والفوائد لأبي بكر الشافعي عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمه.

وقال الذهبي في رواية "إنك إلى خير": إسناده جيد، رُوِي من وجوه عن شهر[1].

وأما رواية: "ألست من أهلك، قال: بلى." فقد أخرجها ابن حنبل، وقال الأرنؤوط: ضعيف لضعف شهر بن حوشب[2].

قال الألباني: وشهر بن حوشب ضعيف وسيئ الحفظ، لاسيما وقد خالف جميع الثقات [3].

قلت: وفي رواية ابن حنبل: "قالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله ألست من أهلك. فقال: بلى فادخلي في الكساء. قالت: فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه وابنيه وابنته فاطمة"[4].

وأما رواية أبي المعدل عطية الطفاري – قال: حدثني أبي عن أم سلمة – التي أخرجها ابن حنبل.. فقد قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

هذا، وروى واثلة حديث الكساء، وأنه قال لرسول الله: وأنا من أهلك، فقال: وأنت من أهلي، قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرجو.

---

(1) سير أعلام النبلاء ترجمة الإمام الحسين.

(2)لأنه كان سيئ الحفظ، ولا تقبل روايته؛ لأنه خالف الثقات الذين رووا (مكانك إنك إلى خير).

(3) إرواء الغليل المجلد (3 / 4) وأحكام الجنائز، تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر.

(4) مسند ابن حنبل في فضائل الصحابة برقم(1392).

مع أن وَاثِلَهَ أَبْعَدُ من رسول الله من أم سلمة؛ إذ واثلة رجل من بني ليث وليس من قريش، وأيضاً فيكون قوله ﷺ لأم سلمة: "وأنتِ " كما قال لواثلة: "وأنتَ من أهلي" أي: من أهل ديني ومن أتباعي، وإن لم يكن من ذَوي نَسَبه.

هذا مع أنَّ الأصح ما قدمتُه لك فتأمله؛ إذ لا يمكن أن يحصر ويبين حقيقة ومفهوم أهل البيت، وثَمَّ آخرون لم يُشِر النبي إليهم.

وهذا الحصر والقصر هو قصر شرعي، وسياق الآية لا يفيد إلا الظن، وهذا الظن مضمحل بحديث الكساء والثقلين وإخراج أم سلمة، وقد فهم الصحابي الجليل أسامة بن زيد عدم دخولهن في مفهوم أهل البيت، كما في حديث مسلم وفيه: "وقلنا مَنْ أهل بيته؟ نساؤه! قال: لا وأيمُ الله، إن المرأةَ تكون مع الرَّجل العصر ثم يُطَلِّقها فترجع إلى أبيها وقومها". وفي رواية: "فقال لحصين: ومَنْ أهلُ بيته يا زيد أليس نساؤه مِن أهل بيته؟! قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده ".

فأهل البيت المرادون في آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي حديث "إني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وأهل بيتي"، وفي حديث " أهل بيتي كسفينة نوح"، ونحوهما هم علي والحسن والحسين

وفاطمة وذريتها لا غير؛ لما تقدم من حصر النبي ﷺ مفهوم أهل البيت عليهم فقط .

وأهل البيت في تحريم الصدقة والزكاة؛ المراد بهم بنو هاشم، وزوجات رسول الله من أهل البيت لغةً لا شرعاً، وسلمان الفارسي وواثلة من أهل بيت النبي أي: من أتباعه.

ولأنه يستحيل أن يريد النبي أن نسائه من أهل بيته مع حصره لمفهوم أهل البيت باسم الإشارة وبالعموم في قوله: "أهل بيتي"، وأكثر الروايات أن رسول الله قال لأم سلمة "إنك على خير"، وفي رواية "إنك إلى خير".

وما روي من دخولها فهو بعد انقضاء بيانه لمفهوم وحقيقة أهل البيت، وبعد دعائه، وقوله: إن هؤلاء- علي وفاطمة والحسن والحسين- أهل بيتي.

ومما يدل على ما قلناه أيضاً: ما روي عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج لصلاة الفجر يقول: "الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وقول أبي الحمراء: صحبت رسول الله تسعة أشهر كان إذا أصبح أتى باب فاطمة عليها السلام فقال: السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ.... ﴾ الآية[1].

(1) قال الشوكاني في فتح القدير: أخرجه ابن أبي شيبه، وأحمد، والترمذي وحَسَّنَهُ، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أنس.

أخي القارئ:

هل يمكن أن يترك النبي أمته هملاً؟!

هل بَيَّنَ الرسول دينه وجعل له دليلاً بارزاً؟!

هل فكرت ملياً لماذا قُتل وشُرِّد أهل البيت؟!!

ولماذا حصل تعتيم إعلامي على ما حصل لهم، وهل للدولة الأموية والعباسية مصلحه في تغيير الحق وأصحابه وتشويهه؟!

ولماذا أخفي ذكرهم وفضائلهم عن الناس؟!

ولماذا انحصرت المذاهب في أربعة ولم يكن أهل البيت الذين أوجب الله بلسان رسوله إتباعهم واحداً من هذه المذاهب؟!

ولماذا قتل الحسين وزيد ومحمد بن عبد الله وآبائه وأعمامه وإخوته؟!

ولمَ قتل محمد بن إبراهيم بن إسماعيل وشرد أخوه وطورد؟!

ولماذا قتل الإمام زيد وصلب وحرق وذر جسده في نهر الفرات؟!

ولماذا هذه الثورات؟!

ولماذا دافع بعض الناس عمن سب الإمام علياً وحاربه؟!

ولماذا ضُعِّفَت الأحاديث الواردة في فضائل أهل البيت إن أمكنهم، وإن لم يمكنهم أولوها تأويلاً بعيداً؟ ولماذا لم يؤخذ عنهم؟!

ولماذا طعنوا وجرحوا كل مَن روى عنهم ونبزوه بأنه رافضي شيعي وجهمي وغير ذلك من الألقاب والتنابز؟!

وكيف أذهب الله عنهم الرجس وأمرنا بالتمسك بهم، ثم يكون الحق في غيرهم ويكونون متبعين لغيرهم؟!

ولماذا الأمر بإتباعهم إذاً والحال هذه؟!

وهلا أمرنا الرسول بإتباع الحنابلة والاشاعرة والإباضية والمعتزلة وابن تيمية وابن عبد الوهاب وغيرهم؟!!

أخي القارئ:

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "الإيمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان" واليمن فيه الزيدية، صحيح أن في اليمن أشاعرة وسلفية إلا أن اليمن فيها الزيدية دون غيرها من البلدان، بينما الأشاعرة في أكثر من بلد، والسلفية في أكثر من بلد.

"إذا تداعت عليكم الفتن فعليكم باليمن" لو كان المراد الأشاعرة لقال: عليكم بمصر إذ فيها الأشاعرة، والحجاز إذ فيها أشاعرة وسلفية، أو الجزائر إذ فيها أشاعرة وسلفية، **ولكن** المرادَ الزيديةُ؛ إذ موطنهم اليمن، ولا شيء يميز اليمن عن غيرها إلا وجود الزيدية فيها، فالإيمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان، الإيمان زيدي والحكمة زيدية والفقه زيدي. وبعد هذا وذاك.. بيننا وبين

مخالفينا في صحة عقيدتنا في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والإمامة، كتاب الله، وسنة رسول الله المتفق عليها الجامعة غير المفرقة.

أخي المسلم:

هناك فِرَقٌ تقول: بأن لله أعضاء، وجوارح من يد ورجل وساق ووجه وقدم وأصابع، وتقول: بأن أفعالنا مخلوقة لله؛ فكل فعل لنا من خير وشر مخلوق لله، وتقول: بأن أفعالنا قضاء وقدر؛ فالزنا وشرب الخمر قضاء وقدر من الله، وتقول: بأن أصحاب الكبائر سوف يشفع لهم النبي ويدخلون الجنة، وتدافع عن الذين حاربوا الإمام علياً وسبوه وقتلوا أولاده، مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:" لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق".

أخي المسلم:

لا تكن إمعة؛ إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن ثبت نفسك ووطنها حتى لا تذهب بك الرجال من يمين إلى شمال.

ولا أقول: خذ قولي مقلداً، بل أقول تأمل، وفكر جيداً، وتدبر كتاب الله وسنة رسوله المجمع عليها، واتخذ القرار، فالأمر خطير.

المبحث الثاني

علوُّ اللّهِ عز وجل

قال المخالف:" مذهب هؤلاء كما هو مذهب المعتزلة إنكارُ علوِّ اللهِ تعالى مُعْرِضينَ بذلك عن الأدلة الشرعية والبراهين العقلية التي تدل على علو الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك: 16]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: 18]، والخلق جميعاً يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو" أهـ.

قلت: نحن لا ننكر علو الله الذي هو علو قهرٍ وسلطان، بل ننكر العلو الحقيقي؛ لأن العلو في المكان ما هو إلا تجسيم وتشبيه لله عَزَّوَجَلَّ، والله منزّهٌ عنه.

والذي يدل على أن العلو يُستَعْمَل ويراد به المعنى المجازي: أن العرب تقول: الملك أعلى من الوزير. **والمراد:** علو الرتبة وعلو الأمر والنهي، يدلك على هذا أن الملك قد يكون في مكان حقيقي أسفل من الوزير.

قال تعالى- حاكياً عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 31]

أي: علو قهر بعدم الامتثال لأمر سليمان؛ إذ لا يعقل أنه نهاهم عن العلو الحقيقي.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: 4]، المراد: أنه- لعنه الله - تكبّر وتجبر وقهر العباد، وليس المراد الإخبارَ أن فرعون- لعنه الله - اتخذ مكاناً حقيقياً عالياً على الناس.

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: 139] فلما انتصر المشركون يوم أحد، قال أبو سفيان: أُعلُ هُبَل، فقال رسول الله - مُعلماً أصحابَه أن يردوا على أبي سفيان -: "الله أعلى وأجل". والمراد: أن الله أقهر سلطاناً وقدرةً.

يدلك على هذا.. أن أبا سفيان كان في أسفل الجبل، ورسول الله كان في الأعلى؛ فمراد أبي سفيان أن هبل علا على المسلمين علوَّ قهر بفوز المشركين على المسلمين.

ثُمَّ إن من عقائد هؤلاء: أن الله ينزل بذاته إلى سماء الدنيا.. فيلزمهم على قولهم هذا أن صفة العلو لله تنتفي عن الله حينما ينزل، ويلزمهم أن يكون الله تعالى حينما ينزل محصوراً بين طبقتين من العالم؛ ذلك أنهم يقولون: إنه ينزل نزولاً حقيقياً، والنزول - كما قال ابن القيم - المعقول عند جميع الأمم هو إنما

يكون من علوٍ إلى سُفل. وقال: إن رسول الله قال في الكتاب الذي كتبه الرب: إنه عنده فوق العرش [1].

فأقول: هل الكتاب مشاركٌ لله في الفوقية؟!

وهل الكتاب ليس في جهة ومكان تحيط به فيكون مشاركاً لله في عدم احتياجه إلى مكان وجهة مخلوقين، ومشاركاً لله في الفوقية والعلو؟!

أمَّا قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: 16]؛ فالمراد: ءأمنتم ملائكته الموكلين بالعذاب أن تخسف بكم الأرض، أو ءأمنتم مَن مَقدورُه في السماء أن يخسف بكم الأرض.

فالآية لا تدل على أن الله في السماء؛ إذ لو قلنا: إنّ الله في السماء.. لجعلنا السماء تحيط بالله عز وجل، ولجعلنا السماء أكبر من الله وأقوى من الله بحيث إنها حملته ومحيطة به، ولجعلنا الله عَزَّوَجَلَّ مادياً مجسَّماً تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

قال المخالف: " إن (في) بمعنى (على) أي: ءأمنتم مَن على السماء؛ قال تعالى: ﴿لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71] أي: على جذوع النخل" أهـــ.

قلت: ليس في ظاهر الآية ما يدل على أنه عز وجل في السماء المزعومة التي فوق السماوات السبع.

(1) كتاب الروح ص 286.

ثم قوله: " إن (في) بمعنى (على) " خروجٌ عن الظاهر وتأويلٌ منعتم منه مخالفيكم وأجزتموه لكم؛ لأن (في) تفيد في أصل وضعها الظرفية.

ونقول لكم ما قلتم لنا: هل في ظاهر الآية ما يستلزم الضلال؟

إذ إنكم أوَّلتم فقلتم: بأن (في) بمعنى (على).

إن قلتم: لا.

فنقول: فلماذا التشنيع على مَن أوَّلَ اليد بالقدرة أو النعمة، وأوَّلَ الوجه بالذات؟! والضلالُ في مثل هذا إنما هو استعمال المجاز من دون قرينة.

وإن قلتم: نعم.

فنقول: فلماذا التأويل بالقول: بأن (في) بمعنى (على).

وأمَّا (في) في قوله تعالى: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71] **فهي مجاز** واستعارة؛ لأن الاستعارة كما تكون في الأسماء والأفعال تكون في الحروف، فكيف عدلتم عن الحقيقة إلى المجاز وأنتم ترفضون التأويل، وتنكرون المجاز [في ما يتعلق بصفات الله]؟!

إن قلتم: إننا ننكر المجاز في صفات الله.

فنقول: العلو الحقيقي عندكم صفة لله، وقياساً لظواهر الآيات - أنه تعالى في السماء وأن السماء ظرف لله عَزَّوَجَلَّ -أَوَّلتم وقلتم بأن (في) بمعنى (على).

قال المخالف: "إن السماء تطلق ومعناها مطلق العلو؛ تقول: سما الشيء أي: علا " اهـ.

قلت: العلو الحقيقي في كلام العرب لا يكون إلا في جهةٍ ومكان؛ لأن العرب تَخَاطَبُوا بهذه المفردات من واقعٍ ملموس يعيشونه، وأما العلو المجازي فصحيح، والمراد: علو الأمر والنهي.

أما إذا أردت علواً حقيقياً لا في جهة ولا مكان؛ فهلمّ الدليل على أن العرب ذكروا العلو الحقيقي من دون أن يكون في جهة ومكان، إذ إن القرآن نزل بلغتهم.

قال المخالف: "إنّ رفع المسلم يده إلى السماء يـدل على أن الله في العلو" أهـ.

قلت: رفع المسلم يده إلى السماء لا يعني أنه عز وجل حَالٌّ في السماء، وذلك بإجماع علماء الأمة.. حتى علماء هذا المخالف.

ثم إن ما هو فوقٌ لنا يكون بالنسبة لغيرنا تحتاً[1] فهل تقولون: إن الله عَزَّوَجَلَّ في السماوات السبع؟! وقد مر بطلانه.

(1) وذلك؛ لأن الأرض كروية، والفوقية والتحتية تكون أموراً نسبية.

وأما السماء التي لا تعني السماوات السبع؛ فالمسلمون لا يرفعون أيديهم إلى هذه السماء التي هي عدمية على حد زعمكم؛ لأنك تقول: في علو عدمي، ومكان عدمي، وجهة عدمية.

ذلك؛ أن المسلم لا يرفع يده إلا إلى السماء المخلوقة الظرفية المحيطة بمَن داخلها، فهل الله فيها فيكون محاطاً؟

والعلو العدمي لا يمكن أن يشار إليه؛ لأنه عدمٌ وغير موجود أصلاً!

وماذا تقولون في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام/ 3] فهل الله في السماوات وفي الأرض حقيقةً ؟ وما المراد بالسموات؟ هل السماء العدمية التي فوق السماوات السبع؟ وهل (في) بمعنى (على)؟

فإذا بطل كون الله في مكان، تعين أن رفع الأيدي إلى السماء، هو لكونها قبلةً للدعاء كما أن الكعبة قبلة للصلاة، وكما أن توجه المسلم بسجوده وركوعه إلى الكعبة لا يعني أن الله في الكعبة؛ كذلك ما نحن فيه.

قال أحمد بن جبريل الكلابي في رسالته في نفي الجهة:" وأما رفع الأيدي إلى السماء؛ فذلك لأجل أن السماء منزل البركات والخيرات والأمطار، والإنسان إذا أَلِفَ على حصول الخيرات مِن جانبٍ مال طبعه إليها؛ قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]" أهـ.

إذاً أيها الأخوة: كيف سميتم ما وراء العالم علواً مع أنه عدمٌ؟ وأين كان الله قبل أن يخلق العرش، والسماوات والأرضين وما بينهن؟!

إن قلتم: في العلو.

فنقول: كيف تقولون علو ولا يوجد سفل؟

ومن أين لكم أن ما وراء العالم الذي هو عدمٌ يسمّى فوقاً وعلواً حقيقياً من الشرع؟!

ومن أين لكم أنه يوجد علوٌ حقيقي في جهة ومكان عدميين من لغة العرب؟!

ويلزمكم على قولكم: بأنه فوق العالم أَنْ يكون اللهُ تعالى: إمّا أكبر من العالم أو أصغر منه أو مساوياً له؛ وهذا كله محالٌ في حقه تعالى.

أمْ أنك ستكابر العقل القطعي قائلاً: من دون كيف. مع أن هذا الإلزام حكم عقلي قطعي لا يختلف فيه العقلاء.

المبحث الثالث

إثبات التأويل

التأويل: هو صرف اللفظ عن ظاهره، وقصره على بعض مدلولاته.

فمن نوعيه: المجاز وهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة.

فالتأويل المراد هنا.. هو أحد نوعي التأويل: وهو المجاز، ووقوعه معلومٌ لا يحتاج إلى دليل؛ إذ هو ضروري عند أهل اللغة.

اعلم.. أن أهل السنة والجماعة ينكرون التأويل في القرآن والسنة مع أن كتبهم الحديثية تنص على التأويل، ويَّدعون بأن الصحابة لم يؤوّلوا، مع أن الصحابة لم يردْ عنهم منع التأويل أو تحريمه، ولا نسلم أن عدم ورود أحاديث عنهم يعني تحريمه؛ لأنهم فهموا أن اليد مثلاً في قوله تعالى: ﴿ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: 75] بقدرتي؛ لأنهم عرب، والعرب تكلمت بالحقيقة والمجاز، واعتبار الحقيقة هنا محالة؛ لأنها تستلزم التجسيم والتشبيه، والقولُ بالمكان العدمي واليد الحقيقية المجهولة الكيف غيرُ معروفٍ في لغتهم، ولا تَعرِفُ يداً وحقواً ورجلاً وساقاً ووجهاً بمعنى الصفة.

ومما يدل على أن السلف أَوَّلوا؛ قولُ ابن جبير: كرسيه علمه [1].

وقول البخاري في قوله تعالى:﴿كُلُّ شيء هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]: إلا ملكه[2].

وقول زيد بن أسلم: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ [يونس: 2]: محمد [3].

وقول البخاري في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [الرحمن: 31]: سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء وهو معروفٌ في لغة العرب يقال: لأتفرغنّ لك وما به شغل لآخذنك على غرتك [4]. وقال في الكبرياء: الملك [5]. وقال في قوله تعالى: ﴿ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56] أي: في ملكه وسلطانه [6]. وقوله في قوله تعالى: ﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ [الروم:30] أي: لدين الله[7]. وقوله في قوله تعالى: ﴿ نَنسَاكُمْ ﴾ [الجاثية: 34]: نترككم[8].

(1) البخاري، باب قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا) (4/ 1648).

(2) البخاري ، باب تفسير سورة القصص (4/ 1788).

(3) البخاري ، باب سورة يونس (4/ 1721).

(4) البخاري، باب سورة الرحمن (4/ 1847).

(5) البخاري، باب سورة يونس (4/ 1721).

(6) البخاري، باب (وكان عرشه على الماء) برقم: 4684 .

(7) البخاري، باب سورة الروم (4/ 1792).

(8) البخاري، باب سورة الجاثية (4/ 1825).

قال النووي: " قوله: (إن الله تعالى ليس بأعور) معناه: أن الله منزه عن سمات الحدث وعن جميع النقائص، وأن الدجال مخلوق من خلق الله تعالى ناقص الصورة" (1).

وقال النووي في شرح مسلم: " قوله: (فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه)، قال العلماء: ضَحِكُ اللهِ تعالى هو رضاه بفعل عبده ومحبته إياه وإظهار نعمته عليه (2).

وقال: "وأما إطلاق اليدين لله فمتأولٌ على القدرة، وكنَّى عن ذلك باليدين؛ لأن أفعالنا تقع باليدين فخوطبنا بما نفهمه؛ ليكون أوضح وأوكد في النفوس ، وذَكر اليمين والشمال حتى يتم المثال"(3).

وقال: " قوله: « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمينٌ.....»الخ. قال ابن عرفة: وَأَمَّا قَوْله: « وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِين » فَتَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَاد بِالْيَمِينِ جَارِحَة - تَعَالَى اللهَّ عَنْ ذَلِكَ - فَإِنَّهَا مُسْتَحِيلَة فِي حَقّه سُبْحَانه وَتَعَالَى " (4).

(1) شرح النووي على مسلم ، باب ذكر المسيح عليه السلام (2/ 236).

(2) شرح النووي على مسلم ، باب معرفة طرق الرؤية برقم267.

(3) شرح النووي على مسلم برقم 4995.

(4) المصدر السابق، كتاب الامارة باب فضيلة الامام العادل، برقم 3406.

وقال النووي: "في قوله:« يقرب المؤمن يوم القيامة من ربه» المراد بالدنو هنا: دنوّ كرامةٍ وإحسان لا دنو مسافة، والله سبحانه منزهٌ عن المسافة" (1).

وقال القسطلاني: " الغضب في المخلوقين شيء يداخل قلوبهم ولا يليق أن يوصف الباري تعالى بذلك فيؤول ذلك على ما يليق به تعالى متحمل على آثاره ولوازمه" (2).

وقال: "«عن مالك» أنه أوّل النزول بنزول رحمته تعالى وأمره أو ملائكته"(3).

وقال: "قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] يريد أن يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله، وهو سبحانه منزهٌ عن الجوارح وصفات الأجسام، وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع النبي كعقده مع الله" (4).

وقال شارح العقيدة الطحاوية: "وإحاطته عظمته"(5) أهـ.

قلت: وهذا تأويلٌ عابوا به خصومهم.

(1) المصدر السابق، باب قبول توبة القاتل، برقم 4972.

(2) إرشاد الساري (4/ 235).

(3) المصدر السابق (9 / 187).

(4) المصدر السابق (10/ 269).

(5) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي؛ عند قوله:(وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الاحاطة خلقه).

قال الألباني معلّقاً: "وهو من التأويل الذي ينقمه الشارح مع أنه لا بد منه أحياناً " (1).

قلت: كيف جاز لكم التأويل وهو محرمٌ عندكم؟!، مع أنه في باب الصفات على حد زعمكم.

قال البيهقي السلفي شارحاً الحديث القدسي-: (ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته...)-: "التردد في صفة الله عَزَّوَجَلَّ غير جائز...والمعنى أن يكون ذلك من فعله كتردد من يريدُ أمراً ثم يبدو له في ذلك فيتركه ويعرض عنه" (2).

وأوَّل ابن حبان الهرولة فقال: "الله أجل وأعلى من أن ينسب إليه شيء من صفات المخلوق، إذ ليس كمثله شيء؛ وهذه ألفاظ خرجت من ألفاظ التعارف على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم" (3). **وأوَّل** بدرالدين العيني(4)، وكذا أوَّل- الهرولة - الأعمش، والراغب، والتوربشتي ، والطيبي، وغيرهم من أهل العلم.

(1) شرح العقيدة الطحاوية.

(2) الأسماء والصفات لأحمد بن الحسين البيهقي؛ باب ما جاء في التردد برقم 1029.

(3) صحيح ابن حبان، باب الأذكار برقم 812.

(4) عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، باب قوله تعالى: (لا يتخذ المؤمنون).

فقال ابن بطال السلفي: "حملها – أي الهرولة – على الحقيقة يقتضى قطع المسافات وتوالي الأجسام، وذلك لا يليق بالله تعالى فاستحال حملها على الحقيقة، ووجب حملها على المجاز؛ لشهرة ذلك في كلام العرب، فوجب أن يكون وصف العبد بالتقرب إليه شبرًا وذراعًا وإتيانه ومشيه معناه: التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته، ويكون تقربه تعالى من عبده قوله تعالى: « أتيته هرولة » أي: أتاه ثوابي مسرعًا " [1].

وقال السندي:" المراد بغيرته: لازمُ لازمِها وهو العقوبة؛ إذ هي لازمة للغضب، وهو- أي: الغضب – لازم الغيرة "[2]. وقال الزرقاني: " الغيرة محال على الله تعالى؛ لأنه منزه عن كل تغير ونقص "[3]. **وكذا** أوَّل «الغِيرَةَ» السيوطيُّ [4]، وابنُ دقيق العيد[5]، والنوويُّ [6].

وأوَّل البيهقي «القدم» في قوله:(حتى يضع الرب قدمه) ، وأوَّل «الرجل، والساق، والإصبع» فقد قال: "لو صح الخبر من طريق الرواية ، كان ظاهر

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال، كتاب التعبير برقم33.

(2) حاشية السندي على صحيح البخاري، باب مقلب القلوب.

(3) شرح الزرقاني على موطأ مالك، باب العمل في صلاة كسوف الشمس.

(4) حاشية السيوطي على سنن النسائي، كتاب الكسوف برقم1474.

(5) أحكام الاحكام شرح عمدة الاحكام، باب صلاة الكسوف.

(6) شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب اللعان والملاعنة والتلاعن برقم2755.

اللفظ منه متأولاً على نوع من المجاز أو ضرب من التمثيل [1]... فيكون المعنى في ذلك على تأويل قوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [سورة الزمر/67] أي: قدرته على طيها" [2]. وأوَّل البيهقي «الغيرة» أيضاً؛ فقال: "والغيرةُ من الله الزجرُ، والله غيور بمعنى زجور، يزجر عن المعاصي" [3].

وأوَّلَ القاضي عياض (الحقو)؛ فقد قال شارحاً حديث(فأخذت - أي الرحم- بحقو الرحمن): " الحقو معقد الإزار وهو الموضع الذي يستجار به ويحتزم به على عادة العرب؛ لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدفع كما قالوا: نمنعه مما نمنع منه أزرنا، فاستعيروا ذلك مجازاً للرحم من استعاذتها بالله من القطيعة" اهـ[4].

وقال الطيبي: "هذا القول مبني على الاستعارة التمثيلية "[5].

وقال ابن الأثير الجزري: "لما جعل الرحمن شجته من الرحمن استعار لها الإمساك والأخذ كما يستمسك القريبُ من قريبه والنسيب من نسيبه"[6].

(1) أي: مجار مركب، والمراد به: الاستعارة المركبة.

(2) الأسماء والصفات للبيهقي، باب ما ذكر في الأصابع ، برقم735.

(3) المصدر السابق، باب ما جاء في الغيرة برقم1010.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب وتقطعوا أرحامكم برقم4455.

(5) المصدر السابق.

(6) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير في الكتاب السادس في صلة الرحم وكذا في النهاية في غريب الحديث باب الحاء مع القاف لابن الأثير.

وكذا أوَّل -التفويض والتأويل- البيهقي السلفي في كتابه شعب الإيمان، وكذا في كتابه الأسماء والصفات في باب ما روى في الرحم أنها قامت فأخذته بحقو الرحمن.

وقال الشبيهي: "هو من المتشابه؛ لأن الحقو هو معقد الإزار أو الإزار نفسه، والله سبحانه منزه عن ذلك؛ فنؤمن به ونفوض علمه إلى الله وننزهه عما لا يليق به أو نؤوله بما يصح إطلاقه على الله"(1). فقد ساوى بين التفويض والتأويل ولم يمنعه.

وأوَّل (الحقو) بدر الدين العيني في كتابه عمدة القارئ شرح صحيح البخاري باب (وتقطعوا أرحامكم) [برقم384]. وأوَّل البيهقي السلفي: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ [البقرة/26] فقال:" أي: لا يترك؛ لأن الحياء سبب للترك"(2).

وأول البيهقي أيضاً حديث:(إن الله لا يمل حتى تملوا)- فقال: "معناه: أنه لا يترك الثواب والجزاء على العمل ما لم تتركوه "(3).

(1) الفجر الساطع على الصحيح الجامع لمحمد الشبيهي،ج5في التفسير برقم4830.

(2) الأسماء والصفات باب ما جاء في الاستحياء برقم1014.

(3) الاسماء والصفات، باب ما جاء في الملال برقم1011.

وقال المناوي شارحاً الحديث: "أي: لا يترك الثواب عنكم حتى تملوه – أي: تتركوا عبادته – أتى بهذا اللفظ للمشاكلة"(1).

وقال ابن حجر: "سُمي هذا المنع من الله مللاً وسامة مقابلة(2) للعبد على ملله وسآمته كما قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة/ 67] فسمي إهمالهم وتركهم نسياناً مقابلة لنسيانهم له، هذا أظهر ما قيل في هذا (3).

وقال الخطابي: "كني عن الترك بالملال الذي هو سبب للترك"(4).

وقال أبو جعفر الطحاوي:" إن المَلَلَ مُنتفٍ عن الله تعالى"(5).

وقال بدر الدين: "والحاصل أن الملال لا يجوز على الله تعالى ولا يدخل تحت صفاته لأنه ترك الشيء اشتغالاً وكراهية له بعد حرص ومحبة فيه وهو من صفات المخلوق" (6). وأوَّل ذلك أيضاً ابن بطال السلفي في كتابه شرح صحيح البخاري في تفسير كتاب الإيمان.

(1) فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الجزء الرابع.

(2) أي: مشاكله.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، ج1.

(4) المصدر السابق.

(5) شرح مشكل الآثار للطحاوي، انظره في بيان مشكل ما روى عن رسول الله برقم548.

(6) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، باب أحب الدين إلى الله أدومه، ج2.

وذكر النووي أن بعض السلف أوَّل أحاديث الصفات فقال: "الثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف - وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي - أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها.

فعلى هذا تأوَّلوا هذا الحديث - أي ينزل ربنا في كل ليلة - تأويلين: أحدهما: تأويل مالك وغيره، ومعناه تنزل رحمته وأمره أي: ملائكته. الثاني: أنه على الاستعارة" (1).

وقال ابن فورك الأصبهاني - شارحاً قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك / 16] -: "معنى ذلك: أنه فوق السماء لا على معنى فوقية المتمكن في المكان؛ لأن ذلك من صفة الجسم المحدود المحدث، ولكن بمعنى ما وصف به أنه فوق من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة" (2).

قلت: وفي هذا كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

---

(1) شرح النووي على مسلم باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل برقم1261 .

(2) مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني.

المبحث الرابع

آية الاستواء

قال المخالف - مستدلاً على أن الله استوى على العرش استواءً حقيقياً -: "إن العلماء أجمعوا على أن الله ذكر أنه استوى على العرش في مواضع كثيرة" أهـ.

قلت: ليس محلُّ النزاع ورودَ الآيات بلفظ "استوى"، فنحن لا ننكر ذلك، بل من أنكر هذه الآيات فهو كافرٌ.

وإنما محل النزاع: هل هي على حقيقتها أو على المجاز؟! وعلى هذا.. فلا إجماع في تفسير الاستواء بمعنى الارتفاع حقيقة هنا.

كيف؛ ونحن الزيدية وكثير من الأشعرية والمعتزلة والإمامية والإباضية لم يقولوا إلا أن معنى استوى: استولى.

فأين الإجماع؟! أم أن الإجماع هو إجماع فرقتك، والمسلمون غيركم كفار!

وإذا سلمنا جدلاً أنهم أجمعوا على أن لفظة (استوى) لا تأتي بمعنى الاستيلاء؛ فيمكن أن تكون الآية استعارة مركبة نحو: أراك تُقدم رِجلاً وتؤخر أخرى.

هذا.. والأول الذي هو: أن العرش هو الملك هو الصحيح لمن تأمل.

وأما قول المخالف: " إن لفظ الاستواء إذا عُدِّيَ بـ(على) فإن معناه الارتفاع والعلو بإجماع أهل اللغة" اهـ.

فباطلٌ إن أراد الارتفاع والعلو المكاني الحقيقي في أي لفظ؛ لأن الجوهري نَصَّ في الصحاح على أن الاستواء يأتي بمعنى الاستيلاء وإن عُدِّي بعلى، واستشهد صاحب الصحاح – وهو من أئمة اللغة – بقول الشاعر:

قد استوى بِشرٌ على العراق   من غير سيفٍ ودمٍ مهراقِ

وهذ الاستيلاء الذي هو من لغة العرب؛ يدل على أن الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء؛ لأن القول بأن الاستواء هنا [في البيت الشعري] حقيقةٌ محالٌ؛ إذ كيف يستقر (بِشرٌ) على دولة العراق حقيقة! بل المراد أنه استولى على العراق من غير نزاعٍ، فأين إجماع أهل اللغة؟

ثم كيف تقول: أجمعوا، ثم تَنُصُّ على واحد، تزعم أنه أنكر وجود استوى بمعنى استولى، مع أن إنكاره لا يضر؛ إذ كان المثبت له دليلاً على قوله.

ومع أننا إذا سلمنا به، فهم لم يجمعوا بأن معناه الارتفاع حقيقة.

فإذا قلت: بل على حقيقته.

فنقول: وبملامسةٍ من دون انفصال بحيث يكون آخرُ جزء ملامساً لأول جزء من الشيء المرتفع؛ لأن هذا هو معنى الارتفاع حقيقةً.

وهل عندك أن استواء الله كاستواء المرء على ظهر الحمير؟!! لأن الاستواء على ظهر الحمير هو بملامسة، وفي مكان وجهة.

فهل تقول كذلك في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

إن قلت: نعم؛ كفرت.

وإن قلت: لا.

فكيف صح لك الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾[هود: 44] إذ ليس معنى ارتفاعها وعلوها مطلق الارتفاع والعلو، بل ارتفاعها مع الملامسة وكونها في جهة ومكان ، والجودي: جبل معروف في العراق.

قال المخالف: "ولم يُذْكر في موضع واحد أن معناه استولى" أهـ.

قلت: قد ذكر الله أنه أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والعرب تخاطبت بالحقيقة والمجاز، وحقيقةُ الاستواء الذي هو القعود محالٌ في حق الله، فبقي أن نحملها على المعنى المجازي الذي ورد في اللسان العربي، باستقراء معاني الالفاظ من اللسان العربي، وليس من مواضع الآيات القرآنية.

وأما القعود المكيف بكيفٍ مجهولٍ فغيرُ معروفٍ في لغة العرب، وغير معقول أيضاً.

قال المخالف - ناقلاً عن أبي الحسن الأشعري -: "ولو كان هذا كما قالوا لكان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء والقدرة، لكان كل شيء تحت قدرته واستيلاءه" أهـ.

قلت: الاستواء بمعنى الاستيلاء، والعرش هو الملك؛ فالسماوات والأرض وما فيهن وما بينهن: ملكوته، ولهذا فالله مستوٍ على عرشه؛ أي: مستولٍ على ملكوته بالأمر والنهي، والمراد بالاستيلاء: تصرُّفُهُ في الكون أمراً ونهياً.

وليس المراد بالعرش العرشَ الحقيقي على ما يقول ابن تيمية: "إنه كروي، وإن العرش موجود مع الله في الأزل ". لأن هذا يؤدي إلى كون العرش أزلياً قديماً، والمعلوم أنه لا قديم إلا الله.

ويمكن أنه أراد أنه مستوٍ على أعظم شيء من مخلوقاته وهو العرش، والذي يدل ضرورةً على أنه مستوٍ على ما دونه. **وهذا** على قول من قال: بأن العرش حقيقي، من دون أن يقول: إن الله مستوٍ عليه حقيقة؛ بل على أنه عندهم قبلةٌ للملائكة مستدلين بقوله تعالى:﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر:75].

قال المخالف: "فيلزم أن يكون العرش قبل تمام خلق السماوات والأرض لغير الله " أهـ.

قلت: والاستواء بمعنى الاستقرار، يقتضي سبق الاضطراب والانزعاج.

ثم؛ إن هذا الكلام الحاصل من المخالف ناتج عن توهمه أن الاستيلاء يدل على أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أخذ العرش من غيره، وبالتالي يكون العرش قبل ذلك مع هذا الغير.

هذا الكلام غير صحيح؛ لأن الاستيلاء لا يدل على ذلك، ولو لم يكن إلا قرينة العقل لكفى؛ إذ العرش عندنا هو المُلك الذي يدل على الأمر والنهي، **والمعلوم** عقلاً ونقلاً أن مَنْ له الأمر والنهي هو الله.

وعلى قول مَنْ قال: إن العرش قبلة للملائكة... فإن الاستيلاء لا يدل على ما قاله المخالف؛ لأن الله عَبَّرَ بالاستيلاء عن كونه قهَّاراً كما قال تعالى﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر/16] فلا يدل التقييد باليوم أنه قبل ذلك اليوم كان لغيره .. فتأمل.

قال المخالف: "إن الغالب من كلمة (استولى) أنها لا تكون إلا بعد مغالبة، فمَن الذي غَالَبَ الله على العرش حتى أخذه الله منه واستولى عليه؟ " أهـ.

قلت: قوله (الغالب) اعترافٌ منه أن كلمة (استولى) لا تكون في جميع حالاتها للمغالبة.

ولهذا نقول: إن المراد بالاستيلاء هو عدم المغالبة؛ لأن لفظة (استولى) لا تعني- باعترافه - المغالبة في كل حالاتها، بل في الغالب فقط.

والذي يدل على أن استوى بمعنى استولى: أنه قد يستعمل ولا يراد بها المغالبة؛ كقول الشاعر العربي كما نقله صاحب الصحاح في مادة سوى:

قَدِ اسْتوى بِشْرٌ على العراقِ   مِن غَيرِ سَيفٍ ودمٍ مهراقِ

فقول الشاعر: من غير سيفٍ ودم مهراق، نصٌّ على أن لفظة "استوى" التي بمعنى استولى من دون مغالبة، والمعلوم أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وهذا شاعرٌ عربي.

فإن قيل: إن الشاعر نصراني.

قلت: نحن نحتج بلغته التي هي لغة العرب؛ ولهذا ترى علماء العربية يحتجون بأقوال المشركين العرب، فما بالك بأقوال النصارى العرب؟ فالعلماء قاطبةً يحتجون بأشعار العرب في الجاهلية من دون نظر إلى كفرهم وشركهم وصحة معتقدهم.

ثم؛ إن البخاري في صحيحه احتج بقول امرئ القيس وهو مشرك، وما أوردناه هو قول أحد أئمة اللغة وهو الجوهري صاحب الصحاح، وكذا قول صاحب القاموس مجد الدين الفيروز آبادي؛ بأن استوى تأتي بمعنى استولى.

وقال صاحب تاج العروس في جواهر القاموس: "قال الراغب: ومتى ما عُدِّيَ بـــ (على) اقتضى معنى الاستيلاء كقوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/ 5]." (1) أهـ.

(1) التاج العروس في جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي ، باب الواو والياء، فصل السين.

وقال تعالى:﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف:21]، فهل هذه الآية تدل على المغالبة والمقاومة؟

المعلوم قطعاً عدم دلالتها، وإلا فمن هو الذي تغالب مع الله.

نعم؛ لا تدل على المغالبة، ولا تُعلِمُ الآيةُ بذلك، فكذلك آيات الاستواء التي بمعنى الاستيلاء.

والقول بأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا بدّ له من مكان وعلو، ولا بُدَّ له من استواءٍ على العرش استواء حقيقياً؛ يُبطل كونه تعالى غنياً؛ لأن الغني لا يحتاج.

وأنتم جعلتم الله في مكان وجهة، وأنه مستوٍ على العرش استواءً حقيقياً يليق بجلاله.

وجعلتم من المحال أن لا يكون في مكان وجهة، وأن يكون غير متصف بالعلو الحقيقي المكاني.

أوليس قولهم: "إنه ينزل بذاته"، يصادم ما قالوه: من أنه في جهة العلو؛ إذ يلزم منه أن تنتفي عنه هذه الصفة حين ينزل.

ويلزم منه أيضاً؛ أنه - تعالى عما يقولون - يصغر حجمه، كما يلزمهم على قولهم - تعالى الله عما يصفون - أنه يصعد بذاته، وأنه يكبر عند الصعود؛ فيكون متغيّراً من حال إلى حال.

وهذه الإلزامات لازمة عليهم؛ لأنهم يقولون: ينزل بذاته، ويصعد بذاته نزولاً وصعوداً يليق بجلاله.

وعدم اعترافهم بهذه الإلزامات لا يزيل هذه الإشكالات ولا ينفعهم؛ لأنها لازمةٌ لقولهم، وهي لوازم قطعية عقلية.

وعدم اعترافهم بهذه الإلزامات، كعدم اعتراف النصارى بإلزامات المسلمين لهم في قولهم بأن عيسى البشري إله.

عدم تصور الشيء لا يعني عدم تعقله

اعلم أيها المستحق للخطاب أن نفي المكانية لله لا يعني نفي وجود الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه لا تلازم في حق الله بين إثبات المكان لله وإثبات الوجود، بل بينهما تضاد.

يوضح ذلك: أن المكان مخلوقٌ لله، وما كان مخلوقاً فلا بد أن يتقدم خالقُه عليه، **وهذا يعني**: أن الخالق قبل خلقه للمكان لم يكن في مكان، فهو عَزَّوَجَلَّ كان موجوداً لا في مكان، ولا يمكن أن يكون في مكان بعد أن يخلق المكان؛ لأن التغير والتبدل من صفات المخلوق، ولأنه تعالى غنيٌ عن المكان والزمان.

والقول: بأن الله في مكان فيه إثبات لأزلية المكان، والدليل دل على أنه لا قديم إلا الله، وعدم تصور كون الله لا في مكان لا يعني أن نفي المكان لله أمرٌ لا يعقل؛ **لأنه** لا تلازم بين عدم التصور وعدم التعقل.

فكما أن الإنسان لا يمكن أن يتصور موجوداً لا خالق له ولا يحتاج ولا يفنى، فلا يمكنه أن يتصور عدم كون الله في مكان.

وكما أن عدم تصور وجود شيء لا خالق له ولا يحتاج، لا يعني عدم تعقله، فكذلك عدم تصور كون الله لا في مكان؛ لا يعني عدم تعقله.

والقول بالمكان العدمي سخافة؛ لأن العدم لا شيء، ولا يمكن أن يوصف أو يشار إليه.

المبحث الخامس

آيات اليد

قال المخالف: "ثانياً: تحريف صفة اليد لله إلى النعمة والقدرة - إلى أن قال - إن الأصل في نصوص الصفات الحمل على الحقيقة لا على المجاز" أهـ

قلت: من أين لك أنها صفات حتى تحملها على الحقيقة؟!! إننا نتنازع حول هذه الآيات - آيات اليد والرجل والساق والجنب - هل هي على حقيقتها أم أنها مجاز؟ فيكون الردُّ من هذا المخالف والاستدلالُ منه علينا بنفس ما نتنازع فيه.

ثم إن قوله: "إن الأصل حملها على الحقيقة" باطلٌ؛ لأن الحقيقة هي أن اليد تطلق على الجارحة كما نص عليه صاحب القاموس والصحاح في مادة (يدى).

فهل "يدُ الله" عندكم هي هذه الجارحة؟ إذ ليس في لغة العرب أن اليد وضعت لصفة مجهولة لهم.

ثم كيف تقولون: إنّ الأصل في الصفات الحقيقة، مع أن مفردات اللغة في أصل وضعها وُضِعت لمعانٍ وأرضية بشرية؛ فكيف نطبقها على حقيقتها على الله عَزَّوَجَلَّ ؟!

قال المخالف: "إنَّ اليدَ وإنْ أَتَتْ في اللغة بمعنى القدرة والنعمة إلا أن حملها هنا على ذلك يستحيل؛ لأنه تعالى قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:64] فهل له نعمتان فقط مع أن نعم الله لا تحصى، وقدرة الله واحدة ".

قلت: اليد إذا اُستعملت مجازاً لفظياً – أي: استعارة – فلا يقصد منها مفرد ولا عدد؛ فالمفرد يقصد به الاستعارة للجود في الإثبات أو البخل في النفي، فإذا ثنيت اليد مثلاً فيراد المبالغة أو التكرير.

فإذا قيل: لفلان يدٌ عليَّ؛ فالمراد نعمة، وإذا قيل: لفلان يدان على فلان، أي: نعمة كاملة أو نعمة بعد أخرى.

قال في تفسير الجلالين شارحاً الآية(64 من سورة المائدة): "مبالغةً في الوصف بالجود وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيده"[1].

وقال الزمخشري: "فإن قلت: لما ثنيت اليد في قوله تعالى:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وهي مفردة في قوله ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

(1) تفسير الجلالين تفسير سورة المائدة الآية 64.

قلت: ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له، ونفي البخل عنه، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعاً فبنى المجاز على ذلك"(1).

وقال أبو العباس الإدريسي: "وإنما ثنيت اليدان عنها وأفردت في قول اليهود ليكون أبلغ في الرد عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود والكرم كما تقول: (فلان يعطي بكلتا يديه) إذا كان عظيم السخاء، أو كناية عن نعيم الدنيا والآخرة"(2).

وقال القرطبي: "فكيف تكون بل نعمتاه مبسوطتان؟

أجيب: بأنه يجوز أن يكون هذا تثنيةَ جنس لا تثنيةَ واحدٍ مفردٍ فيكون مثل قوله ﷺ: (مثل المنافق كشاة العائرة بين الغنمين) فأحد الجنسين نعمة الدنيا. والثاني نعمة الآخرة. وقيل: نعمتا الدنيا النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة كما قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾"(3).

(1) تفسير الكشاف الجزء الأول سورة المائدة.

(2) البحر المديد سورة المائدة، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي.

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي سورة المائدة.

ثم إن العرب تقول: ما لي بفلان يدان، أي: طاقة. ويقال: هذا ما قدّمت يداك، أي: ما قدّمْتَه أنت، كما يقال: ما جنَت يداك، أي: ما جنيته أنت (1).

قال النووي في شرح مسلم: "وأما إطلاق اليدين لله تعالى فمتأول على القدرة، وكنى عن ذلك باليدين؛ لأن أفعالنا تقع باليدين فخوطبنا بما نفهمه ليكون أوضح وأوكد في النفوس" (2) أهـ.

قال المخالف:" فأقرهم الله – أي اليهود – في وصفهم له بأن له يداً " أهـ.

قلت: نعم؛ تكلمت اليهود بلغة العرب، والعرب تكني باليد عن النعمة، وبالقبض عن الحرمان والبخل، فلماذا ينكر عليهم الوضع اللغوي المستعمل في غير الحقيقة؟!

نعم؛ أنكر عليهم القول بأن الله بخيل فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64] أي: نعمته، كما تقدم من أن العرب تثني والمراد: النعمة الكاملة والتامة، أو يراد بالتثنية التكرار الذي يدل على كامل العطاء لا غير.

---

(1) انظر مادة يدى في مختار الصحاح ص741-742. ومن ذلك ما جاء في الحديث الذي أورده ابن تيمية في الفتاوى (28 / 128): إذا رئيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ ورأيت أمراً لا يدان لك به؛ فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام.

(2) شرح النووي على مسلم برقم 4995.

ومما يدل على أن اليدين في الآية مجاز قوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: 64] فالمراد: الدعاء عليهم بالبخل؛ فاليد المضافة إلى اليهود مجاز، وليس المراد: أن أيديهم مغلولة حقيقة، فكيف يكون قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:64] حقيقة وفي الآية الأولى مجاز؟! إذ من حق الجواب أن يطابق ما تقدمه وإلا تناثر الكلام.

قال المخالف: "ولو كان المراد النعمة أو القدرة لما كان لآدم فضل على إبليس؛ فإنه أيضاً خلق بقدرته" أهـ.

قلت: أخرج البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الإسراء؛ أن النبي ﷺ قال: (فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ... الخ) (1).

فذكر الحديث أن الناس يأتون إلى آدم، ويقولون له: بأن الله خلقك بيده ونفخ فيك من روحه مع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29]؛ فهل هذا اختصاص لآدم حقيقة مع أن الله قال في مريم عليها السلام: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: 91].

وعلى هذا نقول: كيف سألوا آدم عليه السلام وخصّوه بشيء موجود لدى غيره كمريم عليها السلام .

(1) البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الاسراء برقم 4712.

فإذا عرفت أن المراد بقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75] أي: بقدرتي. أي: لِمصنوع ومخلوق من مخلوقاتي، وليس المراد الاختصاص؛ **بدليل** أن الناس سألوا آدم الشفاعة ، وذكروا له شيئاً موجوداً لدى غيره الذي هو نفخ الروح؛ إذ أن الله نفخ في مريم، وإلا فيلزم أن يكون آدم عليه السلام أفضل من نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه لم يخلقه الله بيده، والأمةُ مجمعة على أن محمداً أفضل الأنبياء.

ومما يدل على عدم اختصاص آدم، وعدم كون اليد حقيقة قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: 71]؛ فالآية صريحة في أن الله خلق الأنعام بيده، أي: بقدرته، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: 47].

ولا يلزم أن يكون أمر الله لملائكته، ولإبليس بالسجود لآدم عليه السلام ؛ لأجل أن آدم مفضل عليهم - حتى يقال: لِمَا كان لآدم فضلٌ على إبليس - لا لغةً ولا عرفاً.

وتخصيص الله السجودَ لآدم عليه السلام لحكمة، لا لأنه مخلوق بيد الله التي يزعم المخالف أنها حقيقية، وأنها صفةٌ ذاتيةٌ.

قال جار الله الزمخشري:" أي: ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي، لا شكّ في كونه مخلوقاً، امتثالاً لأمري وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة، فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه،

وقيل له: لما تركته مع وجود هذه العلة [1]، وقد أمرك الله به، يعني: كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة، ومثاله: أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه، فيقول له: ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى عليّ سقوطه، يريد: هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه، وفيه: أني خلقته بيدي، فأنا أعلم بحاله، ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني إليه: من إنعام عليه بالتكرمة السنية، وابتلاء للملائكة، فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له، ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له "[2].

مع انه لو قيل: بأن معنى بيديّ، أي: لمخلوقٍ عجيب خُلِقَ ابتداءً على صورته هذه، مِن دون أن يَمر بمراحل النطفة والعلقة والطفولة وما أشبه ذلك، لما كان بعيداً.

ثم؛ مَنْ هو الذي كان يمسك السماوات والأرض أن تقع أثناء خلق الله لآدم بيديه؟! وهل عَجِزَ أن يخلق آدم على تلك الهيئة من دون يدٍ.

(1) الوجه الذي أستنكر له إبليس السجود لآدم أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق.

(2) الكشاف الجزء الرابع سورة ص.

ويلزمكم على قواعدكم المنهارة المنهدمة في قوله تعالى:﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29] أن يكون لله نَفْخٌ؛ لأنه أضاف النفخ إلى نفسه فقال:﴿نَفَخْتُ﴾ وَرُوْحٌ؛ لأنه أضاف الروح إلى نفسه فقال: ﴿رُّوْحي﴾ فأضاف الروح إلى نفسه، مع إجماع الأمة على أن الروح مخلوقة؛ فهل الروح الذي نفخ فيها في آدم روح قديمة عندكم أم مخلوقة؟! فتأمل...

قال المخالف: " وماذا يقولون في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: 67] هل المراد مطويات في نعمته؟" أهـ.

قلت: إننا نقول بقدرته وقوته؟! وإن العرب تعبّر باليمين عن القوة، وإن المراد بالآية: أن قدرته نافذة، وأنه لا يعجزه شيء.

قال الفراء والمبرد:" اليمينُ: القوةُ والقدرةُ، وأنشدا:

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجدٍ تَلَقاهَا عُرَابَةُ باليَمِينِ" (1)

وقال الأخفش: "﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ يقول في قدرته نحو قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء / 36] أي: وما كانت لكم عليه قدرة، وليس الملك باليمين دون الشمال وسائر البدن، وأما قوله: ﴿قبضته﴾ فنحو قولك للرجل: هذا في يدك وفي قبضتك "(2).

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي سورة الزمر.

(2) معاني القران للأخفش سورة الزمر.

قال تعالى: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصافات: 28]، قال في القاموس:" أي: تخدعوننا بأقوى الأسباب" انتهى. وانظر كلام صاحب الصحاح فإنه ذكر اليمين للمبالغة كما في كمال القدرة، أو يراد الاستعارة التمثيلية كما يقال: مالي أراك تقدم رجلاً وتأخر أخرى.

قال الزمخشري:" والغرضُ من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصويرُ عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز"(1).

فهو تمثيل لحال عظمته تعالى، ونفاذ قدرته بحال مَن يكون له قبضةٌ فيها الأرض جميعاً ويمينٌ بها يطوي السماوات.

ولأن اليمين في حقنا تقوى لما لا تقوى له الشمال، والسموات أعظم من الأرض فأضافها إلى اليمين.

---

(1) الكشاف سورة الزمر، وانظر تفسير النيسابوري حيث قال: "والقبضة بالفتح المرة من القبض يعني والأرضون جميعاً مع عظمهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته فهن ذوات قبضته. وعندي أن المراد منه تصرفه يوم القيامة فيها بتبديلها كقوله:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾[إبراهيم: 48] ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ كقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء: 104]".

وقال سيد قطب: "وكل ما يرد في القرآن وفي الحديث من هذه الصور والمشاهد، إنما هو تقريب للحقائق التي لا يملك البشر إدراكها بغير أن توضع لهم في تعبير يدركونه، وفي صورة يتصورونها.

ومنه هذا التصوير لجانب من حقيقة القدرة المطلقة التي لا تتقيد بشكل ولا تتحيز في حيز ولا تتحدد بحدود "(1).

وهل عند هؤلاء المخالفين أن لله يدين يميناً وشمالاً؟!! قالت العرب: فلانٌ في يمين فلان، أي: متنفذٌ عليه بالأمر والنهي.

وأتمنى منهم أن يفسروا قوله تعالى: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: 42]، وقوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]، وقوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46]؛ فهؤلاء المجسمة ينكرون المجاز في القرآن والسنة.. وعليه نقول: هل للقرآن يدان؟! وكذا العذاب والرحمة يا هؤلاء؟!!

قال المخالف: " وليعلم أن مجيء اليد بمعنى النعمة أو القدرة في لغة العرب هو خلاف الأصل ولا بد فيه من القرائن" أهـ.

قلت: اليد في الحقيقة هي الجارحة التي لها كيفٌ معلوم، وليس في لغة العرب يدٌ حقيقية ليس لها كيف معلوم.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب سورة الزمر.

وعلى هذا نقول: قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء﴾ [الشورى: 11]، واليد الجارحة شيء، والله نفى أن يكون له مثلٌ من أي الأشياء، وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُن لَّه كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4]؛ فنفى عن نفسه أن يكون له مكافئ.

والعقل ناطق بأن الأعضاء والجوارح أجسام مخلوقة، واليد في اللغة وفي حقيقتها: هي الجارحة، والعرب لم يعرفوا ولم يضعوا في قاموسهم ولم يستعملوا في لغتهم يداً حقيقية، وأرادوا بها يدَ الله عز وجل، فهذه هي القرائن العقلية والنقلية.

فإن قيل: المراد ليس لذاته ولا صفاته مثلٌ؟

قلت: كلامنا مبنيٌّ على أن العرب لم يعرفوا يداً ولا رجلاً وساقاً وجنباً بمعنى صفة، وأن العرب حصرت لفظ "اليد" في الجارحة والقدرة والنعمة، وأن العرب لا تعرف ولم تستعمل لفظ اليد مريداً بها الحقيقة من دون كَيْفٍ لتلك اليد، وأن الشارع لم يذكر أن لله يداً حقيقية، وأن الشارع لم يذكر أن لله يداً بكيفٍ مجهولٍ، وأن الشارع لم يذكر أن اليد وغيرها صفات، وأن العقل ينكر التركيب في حقه تعالى، وأن العقل ينكر وجود الكيف في حقه تعالى سواءٌ كان معلوماً أم مجهولاً، وأن العقل ينكر إمكان التركيب وإمكان الكيف في حقه تعالى.

فعليكم أن تثبتوا ما أنكرناه، ثم تثبتوا أن الذات غَيْرٌ والصفة غَيْرٌ أخرى.

ثم كيف تجمعون بين كون يده تعالى مبسوطة، وكون يده تعالى فوق أيدي أهل بيعة الرضوان، وكون يده ممسكة للسموات والأرض أن تقع، وبين خلق آدم بيده؟!!

فهل كانت يد الله فوق أيدي أهل بيعة الرضوان مع كون راحته إلى جهة أسفل، وهل كانت يداه مبسوطتين وراحته إلى جهة أعلى؟

ثم كيف ينفق تعالى بيده؛ فهل أعطى اللهُ بيده الحقيقية أحداً شيئاً؟ أم بلا كيف؟ وما معنى أنه ينفق بيده الحقيقية؟

اذكروا المعنى والحقيقة من تلك الجملة واتركوا الكيف، أم أنكم تجهلون المعنى الحقيقي والكيف، وما هو الفرق بين المعنى الحقيقي والكيف عندكم؟!!

المبحـث السادس

آيـــات الوجـــه

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]؛ أي: يبقى الله ربُّنا ورب محمدٍ، فرفع ﴿ ذُو﴾ لأن المراد بالوجه الله عز وجل الذي هو ربنا جل جلاله؛ يقال: جاء زيدٌ وجهه، أي: جاء هو لا غيره. قال البيضاوي: "ويبقى وجه ربك: ذاته"(1).

فمن أثبت لله عز وجل وجهاً حقيقياً وصفةً له على حد زعمه؛ فيلزمه أن لا يبقى ذات الله، بل تبقى صفة الوجه فقط، وهذا هو الكفر بعينه.

فإن قالوا: يبقى الوجه مع الذات.

قلت: قولكم هذا تأويل، وأنتم حرّمتم التأويل، فمن أين عرفتم بقاء الذات مع الوجه؟! فالآية تنص على بقاء الوجه فقط!

ويلزمكم في قوله تعالى:﴿كُلُّ شيء هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:88] اضمحلالُ الذات واليد والرجل والساق والجنب إلا الوجه التي هي صفة عندكم.

فإن قالوا: إن المراد كل شيء هالك إلا الله المتصف بأن له وجهاً.

(1) تفسير البيضاوي سورة الرحمن.

قلت: لزم اضمحلالُ الصفات التي هي عندكم اليد والرجل والساق عدا الذات التي لها وجه، واضمحلالُ المعاني التي زعمتموها قديمةً قائمةً بذاته.

ثم ما الفائدة من التنصيص على ذكر الوجه مع بقاء الذات والوجه؟ أم يكون هلاك بقية الصفات هلاكاً يليق بجلاله؟!

وقولكم: إن صفة الوجه غير صفة اليد، وغير صفة الساق، وغير صفة القدم، وهَلُمَّ جَرًّا، فيه إثبات للأجزاء؛ لأن لفظة (غير) لا تكون إلا بين شيئين، وهو إثبات للتعدد، وهلمَّ الدليل على وجود الصفات والمعاني التي زعمتم ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ثم إن قولكم: إن هذه الصفات التي زعمتم قائمة بالله وبذاته تصريحٌ بحلولها في ذاته تعالى، والحلولُ من صفات الأجسام، واللهُ منزهٌ عنها، أم أنه حلولٌ يليق بجلاله تعالى!

اعلم أن صفات الله من كونه عالماً وقادراً وحياً وأزلياً هي ذاته لا غير، بمعنى: أنه لا يستحقها لفاعل أو لمعنى، وليس المراد أنها غير الله أو أنها حالة في الله.

مثلاً؛ الإنسان لا يستطيع القيام إلا إذا كانت فيه صفة القدرة وهي غير الإنسان؛ بدليل أن ذات الإنسان موجودة، ومفقودةٌ فيه صفة القدرة كالمشلول، أما الله عز وجل فقادرٌ وعالمٌ وحيٌ من دون هذه المعاني.

قال المخالف: " إنا نثبت أن لله وجهاً حقيقياً "أهـ.

قلت: يا ترى ما هو هذا الوجه الحقيقي وما مرادكم بقولكم حقيقياً؟!!

واعلم أن هؤلاء المخالفين يأخذون بالأحاديث الظنية التي يمكن أن يسهو فيها العدل الثقة أو يخطئ، مع أن المطلوب في أصول الدين العلم اليقيني، أما فروع الدين فيكفي فيها الظن؛ لأن المطلوب في أصول الدين الاعتقاد، أما فروعه فالمطلوب فيها العمل.

وبهذا تعلم أن دين هؤلاء ظني، **بل** إن من شروط صحة الحديث الآحادي: أن لا يستلزم الشهرة؛ فإذا استلزمها ولم يشتهر؛ فلا يفيد علماً ولا ظناً.

قلت لبعضهم: هل تجوِّزون مجردَ تجويز أن يكون لله قلب لا كالقلوب، وفمٌ لا كالأفواه، ولسان لا كالألسن، وأن الله ينسى ويبكي نسياناً وبكاءً يليق بجلاله **فانقطع**؛ إذ التجويز في الأصول حرام قطعاً.

مع أنهم يقولون: بجواز أن يُرى الله في المنام، وقولُهم هذا دليلٌ قطعي على أنهم مجسمة على الحقيقة، وأنهم لا يقولون بكلام غير معقول فقط، بل ويصرحون بالتجسيم؛ لأن الرؤية المَنامِيَّة لربهم لن تكون إلا بكيف معلوم للرائي.

نداء ودعوة إلى الرجوع إلى الحق

أيها الأخوة؛ إنكم حينما تقولون: إن لله يداً، ورجلاً، وعيناً، وساقاً، وجنباً، وقدماً، ووجهاً، قد شبهتم الله بخلقه؛ فجعلتم الله جسماً.

قالوا: نحن لسنا مشبهة، والله لا يشبهه شيء، بل إن المشبه كافرٌ.

قلنا: إنكم رفضتم تأويل اليد بالنعمة أو القدرة، ورفضتم تأويل الوجه بالذات، وأنكرتم المجاز، وقلتم بأن لله يدين حقيقيتين كريمتين، ويمكن أن يشار إلى الله، وأن له وجهاً حقيقياً، وعلى هذا فقد وقعتم في التشبيه.

قالوا: لا؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء﴾ [الشورى:11] نحن نرفض التأويل والتفويض، ونقرّ بظاهر الحديث أو الآية الحسي الحقيقي من يدٍ، ورجل، وساق، وقدم، وجنب، ونرفض كذلك التشبيه.

قلنا: أيها العقلاء؛ بالله عليكم كيف لا تعتقدون التجسيم وأنتم **تقولون:** إن له يَدَين حقيقيتين، وإنه ينزل بذاته.

وقلتم: بأنه على العرش مستوٍ استواءً حقيقياً، وإن هذا العرش كالقبة؛ فيكون الله كروياً! وتقولون بأنه يصعد بذاته، ثم لماذا النزول؟ وأي فائدة في نزوله؛ وهو يمكنه أن ينادينا على العرش أو على السماء العليا على حد زعمكم!! وهل منا من يسمع ندائه حين يقول: هل من مستغفر فأغفر له؟!

قالوا: نحن نقول في كل ذلك بما يليق بجلاله.

قلت: ما أسهل الأمر عليكم أيها الأخوة؛ كل الإلزامات العقلية والنقلية من الحدوث والجسمانية والعرضية، ومن الحلول والصغر والكبر والانتقال والقعود والأعضاء والجوارح والتغير من صورة إلى أخرى يتم حلها عندكم؛ بقولكم: كما يليق بجلاله**!!** أيُّ جلالٍ بقي لله**!** وأنتم تقولون بأنه يضع قدمه في النار، وأن النار تنزوي لأجل أنه وضع قدمه فيها**؟!**

أتعقلون أنكم تجعلون القدم محسوساً جسماً بحيث أن بعض النار تنزوي**!!** وتجعلون الله عز وجل أو صفتَه -كما تقولون- تحُل[1] في مكانٍ الذي هو النار **!** ويتم حلُّ ذلك بقولكم: تليق بجلاله؟!!

أيها الأخوة؛ انتبهوا من هذا التجسيم، **وإن قلتم:** إنكم لستم مجسمة، **وإن قلتم:** إن الله لا يشبه شيئاً؛ **إن قولكم** هذا لا يزيل التجسيم، **بل قولكم** هذا كمثل من يشرب خمراً ويقول: أنا لا أشرب الخمر، إنما بمجرد أن وضعت الكأس في فمي صار الخمر شراباً طهوراً! ومثل من يقول: إنه تعالى يحزن لا كحزننا، وله بطن لا كبطوننا؟!!

قالوا: إن هذا لا يصح؛ لأنها لا تدل على الكمال.

(1) تحُل: بفتح التاء أو الضم.

قلت: ألم نقل لا كحزننا ولا كأمعائنا؟! فكان هذا النفي نفياً للنقص.

فقولنا: له حزن وأمعاء إثبات، وقولنا: لا كحزننا ولا كأمعائنا نفي للتشبيه والنقص، مع أنه حزنٌ يليق بجلاله، وليس فيه من الكيف المعلوم حتى تقول إنه نقص.

إذ قولكم: إنها نقص، ناتج عن تشبيه حزن الله بأحزانكم، مع أن الحزن والأمعاء لها كيفية مجهولة.

ثم ما هو الكمال في اليد والساق والجنب والأصابع والحقو والهرولة والغِيْرة؟ مع أنه تعالى يقول:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس/ 82].

وقولكم: إن اليد يكون بها الإنفاق، ينافي الآية المتقدمة، وينافي كونه تعالى الغني الذي لا يحتاج إلى شيء، إذ الإنفاق متوقف على اليد، ثم ما فائدة بقية الأعضاء والجوارح التي هي عندكم صفات؟!

قالوا: لا ندري؛ لكن الله قد أخبرنا بأن له يداً وساقاً وغير ذلك؛ فلا بد أن تكون له صفات كمال.

قلت: لكنه أخبركم بأنه نزل القرآن بلسان عربي مبين، ولغةُ القرآن لا يوجد فيها يدٌ ورجلٌ وساقٌ بمعنى صفة، ولغةُ العرب فيها الحقيقة المجاز، والحقيقة في اليد والرجل والساق هي الجوارح والأعضاء وإن تفاوتت من حيوان إلى آخر، وما ذكرتم ليس في لغة العرب لا حقيقةً ولا مجازاً.

ثم هل أخبركم الله بأن له يداً لا كالأيدي ورجلاً لا كالأرجل؟!!

أيها الأخوة؛ الحقيقة لا تتغير أبداً بقول شخص: تليق بجلاله.

واللغة العربية التي أُنزل القرآن بها هي من وضع البشر، وهم وضعوا في لغتهم معانيها الحقيقية كاليد والساق ونحوهما على أرضية حسيّة، وأنتم رفضتم المجاز والتأويل، وأبيتم إلا المعاني الحقيقية التي هي من قاموس بشري.

فمن أين لكم أنه يوجد لله مكانٌ عدمي وأنه فيه، وكذا جهة عدمية من لغة العرب؟!

ومن أين لكم أن لله يدين ورجلاً وساقاً وقدماً حقيقةً في لغة العرب؟!

أما قوله تعالى:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]؛ فمعناه: نعمته، والتثنيةُ جائزة كما نصّ عليها صاحب الصحاح وغيره، وكما قال - في الانجيل- في يأجوج ومأجوج: {لا يدانِ لأحد بقتالهم} معناه: لا قدرة ولا طاقة (1).

إن قلتم: حملها على الحقيقة لا يضر، والاشتراك في الصفات لا يستلزم تماثل الموصوفات فيما اشتركت فيه.

قلت: فما هو المشترك بين يد ورجل وساق وجنب وأصابع وحقو وسمع وبصر الله، وبين يد ورجل وساق وجنب وأصابع وحقو وسمع وبصر

(1) شرح النووي على مسلم باب ذكر الدجال وصفته برقم 5228.

الإنسان؟ فهل هو اشتراك في الاسم فقط؟ فهذا لا غبار عليه؛ لأن يد الإنسان هي الجارحة، ويدَ الله هي نعمته أو قدرته، أم أنه اشتراك في الصفة؟

فأخبرونا عن هذا الأمر المشترك – وإن تفاوت فيه – ما معنى اشتراكهما فيه، **وكيف** يشترك في صفة مع عدم التماثل فيما اشتركا فيه وإن تفاوتا فيه؟ فإن حاسة السمع عند زيد مثلاً وإن كانت بمقدار 1٪ وعند عمرو100٪متماثلٌ، وإلا لما صَحَّ القول بالاشتراك مع حصول التغاير في حقيقة اليد والرجل والساق وغيرهما في حق الله تعالى، وحقيقة اليد والرجل والساق وغيرهما في حق الإنسان.

صحيحٌ أن الحيوانية المجردة ليست موجودة إلا في الذهن، لكن عدم وجود الحياة في زيد والفرس وغيرهما من أفراد الحيوان العاقل مكابرة للعقل، هذه الحياة التي يجمعهما حقيقة واحدة وحَدٌّ واحد.

فإن أفراد الحيوان متصف بالحيوانية، وهي أَمْرٌ يشترك فيه كل أفراده، والحيوانية في كل فرد من الحيوانات صفة يتصف بها الحيوان العاقل وغير العاقل، وموجودة في كل أفراد الحيوان، والحيوانية في كل فرد متماثلة.

فإذا كانت الكليات حاصلة في الأذهان، ولا وجود لها في الخارج مع عوارضها الغير ذاتية؛ فمن أين تحققت الكليات؟ ويلزم أن حقيقة الإنسان والحيوان

وغيرهما من الاقَدْر، كما تنعدم حال مقارنتها للعوارض الموجودة بالإنسان والحيوان.

فنحن نقول: بوجود الكليات في الخارج مع غيرها؛ لأن القدرة والعلم – مثلاً - في الكائن الحيِّ معاني، وهذه المعاني لا تستقل بذاتها، وعدم استقلالها لا يعني أنها لا توجد مع غيرها من الأمور الذاتية، ولا يعني أن المتصف بها هو وغيره لا يشتركون إلا في الاسم؛ لأنها معانٍ وأعراض.

وإذا ثبت وجودها مع غيرها في الخارج ثبت الاشتراك فيها، وثبت أن الاشتراك في الصفات يقتضي التماثل في المواصفات، وتفاوتُ العلم والحياة والقدرة، هو تفاوت في القَدْر؛ كما يثبت التماثل في مربعين، وإن كان أحدهما أكبر حجماً.

ثم نقول: إنه لا اشتراك في يد الله ويد الإنسان حتى على قاعدتكم؛ لأن اليد في الإنسان عضوٌ، وكذا الوجه والساق والرجل والقدم والأصابع، وليست صفاتاً.

وعلى هذا؛ فلا يوجد اشتراك؛ لأنها – على حد زعمكم- في الله صفة، بينما هي في الإنسان عضو وجارحة، ومع ذلك أبيتم إلا القول بالاشتراك في الصفات، وزعمتم أن اليد والحقو والهرولة صفاتٌ حقيقية.

ثم لماذا قلتم: إن القول بأن العبد فعَّالٌ مختار له تأثيرٌ، وأنه خالقٌ لأفعاله كما قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت/ 17]، يستلزم أن يكون شريكاً لله في صفة الخالقية مع اختلاف حقيقة الخلق عند الله وحقيقة الخلق عند الإنسان.

وعدلتم إلى القول: بأنَّ الله خالق أفعال العباد فراراً من القول بأن الإنسان فاعلٌ لأفعاله، وله تأثير حقيقة لأفعاله.

فعلى كلامكم هذا ينهدم ما قلتم فيما زعمتموه صفاتاً، ويلزمكم الشرك في اعتقاد المشاركة في صفة الحياة والعلم مع الله، وإن كانت الحقائق متعددة على حد زعمكم.

ثم كيف يكون الشيء مشتركاً بين شيئين من دون جامع لهما وإن تفاوت ذلك، حينما نقول: الله عالم والإنسان عالم؛ فإن الله عالمٌ حقيقةً، بينما كون الإنسان عالماً – أي: له عقل– مجازٌ؛ إذ أنه مُعْلَم، أي: أن الله أعطاه عقلاً، وكون الله قادراً حقيقةٌ، وكونُ الإنسان قادراً مجازٌ؛ إذ أن الله هو الذي أعطاه القدرة مع الاختيار في تلك القدرة فيكون مُقْدَراً؛ أي: أن الله خلق فيه القدرة لا أفعاله؛ إذ أن القدرة لا تعني الفعل بل إمكان فعل أحد الضدين، وهذا اشتراك في الاسم لا في الصفة وهو لا يضر.

ثم إن الحقيقة في لغة العرب في هذه الأشياء: أن الجهة والمكان واليد والرجل وغيرهن أمور وأشياء مخلوقة؛ لأن العرب لا يعنون بالجهة والمكان إلا التي هي

موجودة وتحيط، ولا يعنون باليد في الحقيقة إلا الجارحة المكيفة بكيفٍ معلوم، وكذا الرجل والساق.

وأما في المجاز فيعنون باليد النعمةَ في موضع، والقدرةَ في موضع، وغير ذلك، ويعنون بالقدم ما يقدمه الإنسان أمامه كما نص عليه صاحب القاموس والصحاح وشارح القاموس.

ولماذا أوّلتم بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد:4]، وقلتم: هو مَعَنَا بعلمه، مع أن لفظة ﴿هُوَ﴾ لا تعود على الصفات بل على الذات؟

ولماذا حينما حملتم بعض الأحاديث كقوله ﷺ: (إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قِبَل وجهه؛ فإن الله قِبَل وجهه إذا صلى)، وقوله ﷺ: (أقرب ما يكون العبد مِن ربه وهو ساجد).

رغم أن ظاهر قوله ﷺ: (فإن الله قِبَل وجهه) يدل على أنه تعالى أمام المصلي، وأنه قريبٌ منه قرباً حسياً؛ لأنه قال: (فإن الله !!)، وقال:(مِن ربه!!)حملتموها على العلم والإحاطة، ورفضتم تأويل خصومكم: أن اليد بمعنى النعمة أو القدرة، وأن الوجه بمعنى الذات، وأن الاستواء هو الاستيلاء، وأن العلو هو العلو المعنوي الذي هو علو قهر وسلطان وإحاطة؟!!

ومن أين لكم أنه يوجد مكان عدمي ومكان وجودي!، وجهة عدمية وجهة وجودية!، وعلو عدمي وعلو وجودي!، وأين هذه التقسيمات في كلام العرب؟!

وأين الدليل من الكتاب والسنة وكلام أصحاب رسول الله والتابعين على أن الله في مكان عدمي وجهة عدمية؟!

وأما الساق الواردة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم/ 42] **فهي** كناية عن الشدة والهول؛ لأن الساق تأتي بمعنى الشدة، والجنب بمعنى الحق؛ فمعنى: ﴿فِي جَنبِ اللهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُّ فِي جَنبِ اللهِ﴾ [الزمر: 56]؛ في حقه تعالى الذي هو طاعته؛ قال الفراهيدي في كتاب العين: فرط فلانٌ في جنب الله. أي: ضيع حظه من عند الله في إتباع دينه ورضوانه.

وتقول العرب: فلان أساء في جنب فلان، أي: في حقه؛ إذ التفريط في جنب الله الذي هو على حقيقته عند المجسمة لا يعقل.

فأنت أيها القارئ الفطن؛ ترى أن تفسيرنا هو الصحيح؛ لأنه مراعٍ لبلاغة القرآن الذي هو على أعلى قمة في البلاغة، والذي تحدى الله به العرب بأجمعها، وأن تفسيرنا للآيات المتشابهة مفهوم يفهمه كل من له بعض إلمام بلغة العربِ مفرداتِها وتركيبِها.

فهل يصح أن يخاطبنا الله بكلام لا يفهمه أحدٌ؟! أو بكلام لا فائدة فيه غير حروفٍ يجب أن نعتقدها في الله؟! كيف يصح ذلك والخطاب بكلام لا يُفهم عبثٌ أو جهلٌ، وكلاهما محال على العاقل العارف منا، فكيف بالله العالم الحكيم!

والعجيب أن ابن تيمية عاب على المفوضية حينما فوضوا، ورد عليهم بأن الله لم يخاطبنا بما لا نفهم، بل خاطبنا بما نعقله ونفهمه، و استدل ابن تيمية على أن (الراسخون) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]؛ معطوف على ﴿الله﴾ وأنهم يعلمون تأويله، ومع ذلك يعتقد ابن تيمية وأتباعُه عقيدةً لا تُعقل؟ وجعلوا القرآن ألغازاً لا تفهم معانيها؟!

قال تعالى واصفاً القرآن بأنه ﴿كِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [النمل:1]! فأين الإبانة؟ وما فسروه غامض بل وغير معقول؟!

قالوا: لو كانت اليد والوجه والاستواء بمعنى القدرة أو النعمة والقوة والذات والاستيلاء؛ فلماذا موّه علينا ولم يقل: بل نعمته مبسوطة، كل شيء هالك إلا ذاته، الرحمن على العرش استولى؟

قلت: ليس هذا تمويهاً؛ لأنه تعالى أخبر بأنه نزل القرآن بلسان عربي مبين، والعرب تتخاطب بالحقيقة والمجاز مع وجود قرائن عقلية ولفظية، فخاطبنا تعالى بالحقيقة كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11] فنفى نفياً مؤكداً أن

يكون له مثل أو شبيه، وخاطبنا بالمجاز كقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:24] والذُّلُّ ليس له جناح، ولكن المراد الكناية عن شدة الخضوع للوالدين والتذلل لهما.

وقوله تعالى: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: 42]، **وقوله تعالى:** ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]، **فهل** للقرآن والرحمة يدان حقيقيتان تليق بجلالهما؟**!** **ولماذا** لم يقل: بين قُدّام رحمته، ولا يأتيه الباطل من ظاهره ولا من باطنه؟**!!**

وأيضاً؛ فالله ذكر أن القرآن يشتمل على المحكم والمتشابه، **فلماذا** لم يجعل القرآن كله محكماً بهذا الاعتبار؟ بل جعل فيه آيات متشابهة يتبعها الذين في قلوبهم زيغ إرادةَ الفتنة في الدين؟!

إن الإجابة على هذه التساؤلات هي نفس الإجابة على ما قالوه من التمويه في استعمال المجاز.

والإجابة: هي أن يميز الله من يتبع المحكم ويرد المتشابه[1] إلى المحكم، ممن يتبع المتشابه إرادة الفتنة في الدين، وأن يرفع الله مراتب العلماء الراسخين حتى يكون الأجر بقدر المشقة، وغير ذلك كثير.

---

(1) وجود قرائن في المجاز والمتشابه تدل على أنها مجاز ومتشابه.

قالوا: إذا أردتم أن نقول لكم بكيفية الاستواء والصعود والنزول والعلو واليد والرجل والجنب والحقو فقولوا لنا كيف ذاته؟

والمعلوم أنكم ستقولون: لا نعلم كيفية ذاته.

قلنا: ونحن لا نعلم كيفية الاستواء.

قلت: سنقول: إن الله ليست له كيفية لا مجهولة ولا معلومة، ولن **نقول**: لا نعلم كيفية الذات؛ لأننا نريد بإثبات الذات نفيَ العدم، وإثباتَ الوجود لله عز وجل المتصف بكونه عالماً قادراً حياً أزلياً؛ إذ أن الكيف هو السؤال عن الحال والهيئة، وهما عرضان يختصان بالمتغيرات، والله هو الحق الثابت الذي ليس كمثله شيء، فهل ستقولون بنفي الكيف المعلوم والمجهول عن اليد والساق والهرولة والحقو؟!! إنكم لا تنفون عن الله مطلق الكيف، بل تنفون الكيف المعلوم، وهذا لا يكفي للقول بأنكم تنزهون الله تعالى عن مشابهة مخلوقاته، وإنكم تعتقدون بأنه ليس كمثله شيء.

فإن قلتم: بل يكفي.

قلت: فهل تعلمون كيفية الملائكة والروح؟

قالوا: علمكم بتلك الكيفية لكونها مجهولة، يعني: أن الملائكة ليس كمثلهم شيء، وكذا الروح نجهل كيفيتها، مع أنها لا تخرج عن أحد شيئين: إما جسم وإمَّا عرض.

الأمر الذي يدل على أن لها كيفاً لكنه مجهول لنا، فهل الروح ليس كمثلها شيءٌ؟!!

لابُدَّ أن تعلموا أن نفي الكيف المعلوم دون الكيف مطلقاً لا يعني التنزيه لله تعالى عن مخلوقاته.

قالوا: قال ابن فارس في مقاييس اللغة: "يدٌ أصل بناء اليد للإنسان وغيره، والعين هاهنا عين الإنسان وغيره، والجنب للإنسان وغيره". وكذا في كتاب العين.

قلت: وقال ابن فارس أيضاً:" يُقال لجوف الإنسان وغيره: البهْو، وحشاشا الإنسان وغيره: جنباه".

وقال: "فالذقن ذَقَنُ الإنسان وغيره: مجمع لحييه، وركع يدل على انحناءٍ في الإنسان وغيره ".

وقال: "الرأس رأس الإنسان وغيره، والريق ريق الإنسان وغيره".

وقال ابن دريد في جمهرة اللغة:" القلب قلب الإنسان وغيره، والجَهْوَةُ: موضع الدبر من الإنسان وغيره، والحلق حلق الإنسان وغيره، والعضو من الإنسان وغيره.

وقال صاحب كتاب العين: "وبوادر الإنسان وغيره: اللَّحمةُ التي بين المنكب والعنق، والحَتْكُ من المشي للإنسان وغيره".

المبحــث الســابع

الشفاعة

قال المخالف: "أما هؤلاء فقد ساووا بين المؤمن الموحد القائم بفرائض الله المجتنب لمحارم الله -إلا أنه وقع في زلة وهفوة ولم يتب منها- ساووا بينه وبين الكافر الملحد الذي لم يشهد لله بالربوبية ولا لنبيه بالرسالة؛ فجعلوهما سواء في التخليد في النار" أهـ.

قلت: ما هذه الهفوة والزلة؟ إنها عندهم الزنى واللواط وشرب المسكرات وأخذ أموال الناس ظلماً، والقتل وغيرها من كبائر الذنوب التي مات فاعلها ولم يتب منها! والله يقول: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28].

ثم إننا لم نساوِ بينهما في مقدار العذاب وشدته؛ لأن النار دركات، كما لم نساوِ بين فرعون المُدّعي للربوبية والمجرم السفاك للدماء كشارون وإسحاق رابين ونتنياهو من المتجبرين، وبين الكافرين الذين لم يعملوا كما عمل هؤلاء؛ وإن كانوا جميعاً مستحقين للخلود.

والذي ساوى بين الزاني، والقاتل، والسكران، واللوطي، والملحد، والوثني، والمشرك في الخلود هو الله عَزَّوَجَلَّ ، كما في كثير من الآيات وكما في الأحاديث الكثيرة المتواترة.

وكيف يكون مجتنباً لمحارم الله مع قول المخالف: " إنه وقع في زلة وهفوة " التي هي الزنا وشرب المسكرات ونحوهما؟!! قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: 14]، هذه الآية واردة بعد آيات المواريث؛ أي: أن الخطاب هو للمسلمين، والسياق يدلك على ذلك.

والمراد بالخلود: هو التأبيد؛ قال تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء /129]، وقال تعالى: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر/73]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق/34]، وقال تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[الأنبياء/34]، وقال تعالى:﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[الهمزة/3].

فهذه الآيات تدل على أن المراد بالخلود: البقاء الدائم الذي لا ينقطع؛ لأن بعضهم عُمِّرَ عُمْراً طويلاً، والله نفى الخلود عن جميع البشر، مع أنه أعطى بعضهم العمر المديد، ولو كان الخلود بمعنى المكث الطويل لما صح الإخبار بنفي الخلود مع حصول المكث الطويل(1)، وذكرُ الأبد بعد الخلود لا يدل على أن المراد بالخلود المكث الطويل؛ إذ هو تأكيد.

(1) كما حصل لنوح عليه السلام.

وليس المراد بالمعصية في آية النساء السابقة الكفر والشرك؛ بدليل أن رسول الله ﷺ قال: (ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا)[1].

وقتل الإنسان نفسه ليس كفراً ولا شركاً عندنا وعندكم، ومع ذلك استوجب الخلود الأبدي، و﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ﴾ [النساء /14] مِن ألفاظ العموم؛ يدخل فيها الكافر والفاسق والمسلم والمنافق، و﴿يَعْصِ﴾ عامٌ؛ لأنها نكرة في سياق الشرط والجزاء؛ فيدخل في ذلك أي معصية: كفر وفسق ونفاق.

وأخرجنا المعصية الصغيرة لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: 31]؛ ولإجماع الأمة على أن الصغيرة مكَفَّرة، ولا يستحق صاحبها النار.

وأخرجنا الفاسق التائب للآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة التي تنص على قبول توبته، وعلى هذا فيبقى اللفظ على عمومه إلا ما دل عليه دليل.

وأضف إلى ذلك وجود نص صريح في استحقاق صاحب الكبيرة – الذي لم يتب – النار والخلود؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء/93]، والقاتل

(1) مسلم ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه برقم175 .

ليس مشركاً ولا كافراً. وقال تعالى:﴿الذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا • يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا • إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الفرقان/ 68-70] وليس الوعيد بالخلود لمن فعلها كلها؛ إذ الشرك وحده كافٍ في استحقاق الخلود، وسيكون ذكر قتل النفس المحرمة والزنا لغواً لا فائدة منه إذا كان المراد: من أشرك؛ فمن ادعى مع الله إلهاً آخر لا يحتاج في استحقاق الخلود إلى عمل آخر، و إنما خص الله دعاء غير الله إلهاً والزنا وقتل النفس المعصومة؛ لأنها من أكبر كبائر العصيان، وأن كل واحد من هذه الخصال منفردة توجب العذاب والخلود.

وعن ابن مسعود قال: سئلت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم، فقال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)، قال: ثم أي؟ قال: (ثم أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك)، قال: ثم أي؟ قال: (ثم أن تزاني حليلة جارك) (1). وزاد في مسلم:" فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ تصديقه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا •

(1) ابن حنبل 3430-3893 ، البخاري برقم4477-4761، مسلم برقم268-267.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان68-69]". وقال رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة نمام)[1]، وقال رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة قتّات)[2]، وقال رسول الله ﷺ: (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)[3]، وقال رسول الله ﷺ: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة)، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله!. قال رسول الله: (وإن قضيباً من أراك)[4]. وقال رسول الله ﷺ: (ما مِن عبد يسترعيه الله رعيّة يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[5].

وأنت أيها المستحق للخطاب: تعلم أن النميمة وقتل النفس وأخذ مال الغير والغش لا توجب الكفر؛ وأنها من الكبائر، ومع ذلك استحق فاعلها الخلود في

---

(1) مسلم برقم 105 ، ابن حنبل برقم 22236-22270-22297، البزار برقم289.

(2) البخاري برقم 5442، مسلم برقم 109 ، النسائي برقم 2092.

(3) ابن حنبل برقم7441، والبخاري برقم5442، ومسلم برقم 109، والترمذى برقم2044 صحيح. والنسائى برقم1965.

(4) مسلم برقم 137، مسند ابن حنبل برقم22239، النسائي برقم5436.

(5) البخاري برقم6831، مسلم برقم142.

النار كما مرّ معك، وتأمل قوله ﷺ: (وإن قضيباً من أراك)، وقولَ هؤلاء الذين يمنون على الناس بالجنة وإن عصوا الله عز وجل.

فإذا علمت هذا؛ فاعلم يا من يعقل الخطاب أن أيَّ حديث منسوب إلى رسول الله يخالف القرآنَ العزيز المُصرِّح بخلود العصاة الفاسقين الذين لم يتوبوا من ذنوبهم العظام، ويخالف الأحاديث التي رواها الموالف والمخالف المتواترة التي تنص على أن الزاني والسكران واللوطي وتارك ما أوجبه الله عليه من الطاعات إذا مات ولم يتب مخلدٌ في النار؛ أيَّ حديث مخالفٌ لما مرَّ مردودٌ؛ لأن القرآن لا يتعارض مع كلام المصطفى؛ لأن القرآن حجةٌ والنبي حجةٌ وحججُ الله لا تتعارض.

فيأيها العقلاء؛ إذا كان النبي سيشفع للفاسقين؛ فلماذا أمرنا بالتوبة والإنابة والرجوع إليه؟! وعلق غفران الذنوب بها!! **إن** الله يقول: إن النبي ﷺ سوف يشكو أمته، وهو ينافي أن يتوسط لمذنبيها؛ قال تعالى حاكياً قول النبي ﷺ لربه: ﴿يَا رَبِّ إِن قَوْمِي اتَّخَذُواْ هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: 30].

وهؤلاء يقولون: إن الزاني واللوطي والسكران، وآكل أموال الناس ظلماً، والقاتل تعدياً، وشاهد الزور سوف يشفع لهم النبي حتى ولو كانت هذه الكبائر في رجل واحد.

قال المخالف: "قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ [الجن:23]؛ يدل على أن المعصية هنا ليست على إطلاقها، بل المقصود معصية الله في عدم الإيمان به ورسوله" أهـ.

قلت: هذه الآية غير آية النساء المتقدمة، ومع هذا فيجب حمل الآية على عمومها، وكون الآية هنا واردة في سياق خطاب الكفار ليس مانعاً من دخول غيرهم؛ لأن العبرة بدلالة اللفظ، واللفظُ هنا يدل على العموم كما تقدم.

وأما استدلاله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] على أن الفاسق إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له؛ فاستدلالٌ باطل؛ لأن هذه الآية مقيّدة بقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:31]، وإلا فهل يُجوِّزُ أن يغفر اللهُ عز وجل للذي لا يؤمن بسيدي رسول الله؟ أو لا يؤمن بأن الربا أو الخمر حرامٌ ويؤمن برسول الله؟ مع أنه مؤمن بالله ولا يشرك به، وكذا بعض المسيحيين الذين لا يؤمن بأن عيسى إله، بل يقول: إنه عبدٌ لله ورسوله، إلا أنه خاتم الأنبياء؟ أولا يؤمن بالأنبياء، أولا يؤمن بكتب الله ولا بملائكته، وهو مع ذلك يؤمن بالله ولا يشرك به عز وجل أحداً؟

ثم إن الله تعالى يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:24]، فقد علق حصول العذاب والمغفرة بالمشيئة؛ فهل تعليق المشيئة يدل على أنه يمكن

شرعاً أن يعفوا الله عن المنافقين؟ وهل يجوز أن نُجَوِّز شرعاً عدم تعذيب المنافقين لأجل تعليق المشيئة؟

ثم إن الله تعالى قد بَيَّنَ لنا مشيئته في الفاسقين بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء /123]، وبقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:81]، وبقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن:23].

وبَيَّنَ لنا أنه لا يغفر لهم إلا بالتوبة والإنابة فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:110]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه/82]، وبيّنها رسول الله ﷺ كما تقدم وذلك في الأحاديث الأنفة الذكر.

فإن قيل: فما هو الفارق بين المسلم والكافر؟

قلنا: إن العذاب يختلف حتى بين الكفار؛ كلٌ حسب معصيته، والاشتراك إنما هو في الخلود.

ثم لو قلنا لكم: ما هو الفارق بين المعتقد لوحدانية الله وألوهيته الذي يقول: (لا إله إلا الله) وبين المنكر؟ وماذا استفاد الموحد توحيد ألوهية وربوبية فقط، أو المؤمن بالله ورسوله وينكر أن الإسلام صالح للبشرية في هذا العصر، أو

يعتقد بأن الحدود الإسلامية لا تلائم العصر وينكره الآن، ويقول بأن رسول الله لوكان موجوداً في هذا العصر لغير أحكاماً كثيرة، أو غير ذلك مما يؤدي إلى الخروج من الإسلام، وإن كان صاحبه موحداً مؤمناً برسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومؤمناً بكتاب الله بأنه كلام الله؟

ثم ما هو الذي طرد إبليس؟ ولماذا لعنه الله؟ هل لأنه أنكر وكفر؟ أليست معصية إبليس هي الكبر، وليس إنكار الربوبية والألوهية؟ وما هو الذي جعل المسلم غير مخلد في النار؟ هل هو إيمانه بالله ورسوله من دون عمل؟

إذا كان الأول؛ فهل كل من قال: (لا إله إلا الله) و يؤمن بسيدي رسول الله ﷺ يخرج من النار؟ **وإذا** كان الثاني؛ فهل في هذا دعوة إلى فعل القبيح وإبطال لجميع القوانين الإلهية من ناحية التنفيذ؟ **ثم ما هو الدليل؟**

والذين يسألون عن العدل الإلهي؛ لا بُدَّ أن يعرفوا: مَنْ هو الله؟ وما معنى أن نعصي جَبَّار السماء، والذي لا يعجزه شيءٌ، والقادر على كل المقدورات، والذي لا يخفى عليه شيءٌ، ما معنى أن نعصيه ولا نتوب إليه مع إمهاله لنا وتوبته علينا، وإرشاده لنا بالعقل والكتاب والرسل، وإنعامه لنا بالنعم العظام المتوالية.

ما معنى أن نعصي الذي خلق الأجرام وخلق الإلكترون والنيترون والبروتون من العدم المحض، الذي بيده كل شيء وإليه ترجعون، الذي إذا أراد شيئاً أن

يقول له كن فيكون، الذي أوجدنا وخلق لنا الأرض، الذي يعفو عنا إذا أذنبنا، ويقبل توبتنا، ويغفر ذنوبنا التي أوترت ظهورنا وأفنت أعمارنا، الذي يجيبنا إذا دعوناه ويسرع بالإجابة، الذي نناديه كُلما شِئنا لحاجاتنا، ونخلوا به حيث شِئنا بلا حجاب ولا مواعيد، يتحبب إلينا بالنعم ونعارضه بالذنوب، خيره إلينا نازل وشرنا إليه صاعد، ومع ذلك لا يمنعه ذلك من أن يَحُوطَنا بنعمه العظام، ويتفضل علينا بآلائه الجسام، ومن أن يقبل توبتنا ويغفر ذنوبنا إذا رجعنا إليه، مع أننا أصحاب الدّواهي العُظمى، والذين على سيدنا اجترأنا، والذين عصينا جبار السماء، الذي أمهلنا فما ارعوينا، وستر علينا فَمَا استحيينا، وعملنا بالمعاصي فَتَعدَّيْنا، واسقطنا من عينه فما بالينا، ثم قبل توبتنا وحوبتنا حين رجعنا إليه. **لا بُدَّ** أن نعرف مَنْ هو ومَنْ نحن، فيا مَنْ سأل عن عدل الله هذه عدالته، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:118]، ويا مَنْ سأل عن رحمة الله ومكانها؛ هذه هي وهذا مكانها.

ثم أليس الله بإجماع المسلمين يخلد مَن مات على الشرك ولو استغرق عمره في طاعة الله وأشرك في فترة زمنية قصيرة -مثلاً- خمس دقائق، وأطاع في بقية عمره ولو سبعين عاماً، فهل يُقال: أين عدل الله؟! أين رحمته؟! أين عفوه؟! أين مغفرته؟!

إن هذا لو عاش ألفي سنة فسيكون في شرك؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:28]، نعم! هم كاذبون حينما قالوا:﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون:99-100] لأن قولهم هذا ليس توبة لأجل ما صدر عنهم من قبيح أعمالهم، بل لأنهم شاهدوا العذاب وذاقوه، فتوبتهم لأجل الآلام، ولذلك ﴿لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[الأنعام/ 28] وهذا لا يعني أن الله عاقبه لما سيكون بل لما كان، ومرادنا إثبات أنَّ الله رحيم؛ لأنه أخبر أن هؤلاء لو ردوا لعادوا لما نُهُوا عنه...

هذا والله الموفق إلى كل خير.

كتب

عبدالله بن الحسين الديلمي

لطف الله به في الدارين

15/ 4/ 2001م

المحتويات

تقديم 3

أهل البيت سفينة النجاة 7

علو الله عَزَّوَجَلَّ 32

إثبات التأويل 39

آية الاستواء 49

عدم تصور الشيء لا يعني عدم تعقله 56

آيات الوجه 70

نداء ودعوة إلى الرجوع إلى الحق 73

الشفاعة 86

الفهرس 97